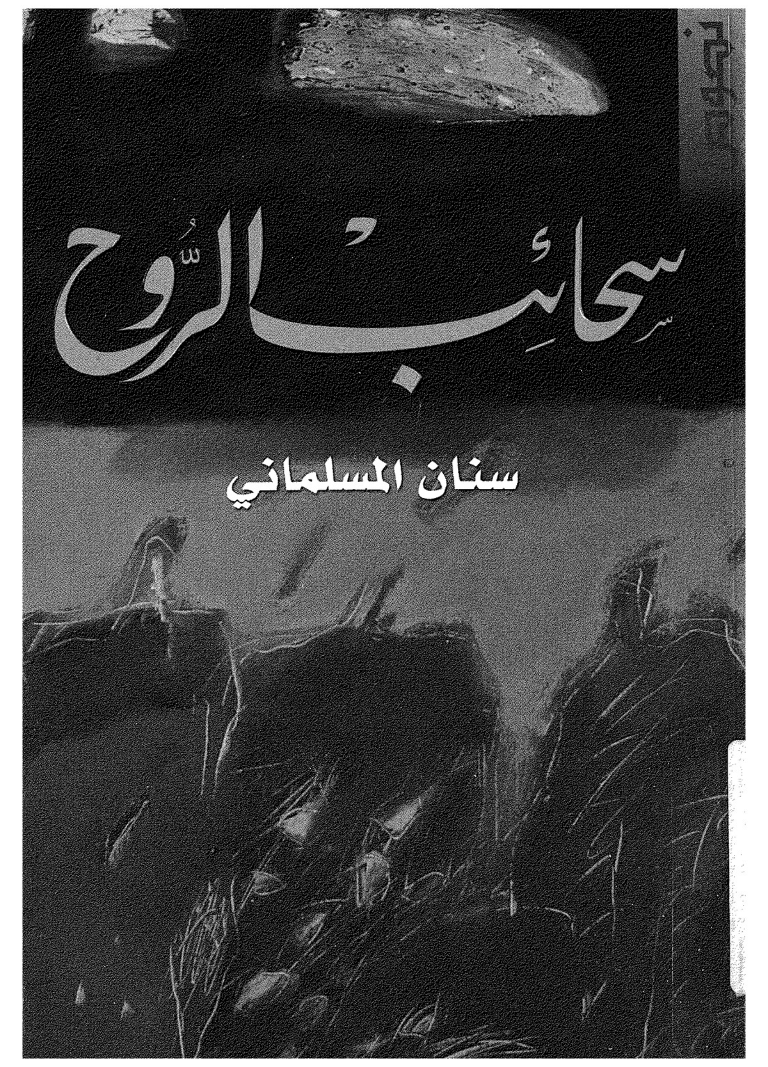

سحائب الروح
سنان المسلماني

سحائبُ الرُّوحْ

سحائب الروح / نصوص

سنان عبد الرحمن المسلماني

الطبعة العربية الأولى / ٢٠٠٣

الناشر / المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

إدارة الثقافة والفنون ـ قسم الدراسات والبحوث

الدوحة ـ قطر ـ ص.ب : ٣٣٣٢

لوحة وتصميم الغلاف : الفنان سلمان المالك

خطوط / منيب القريوتي

الصف الضوئي والتنفيذ الطباعي : مطابع الدوحة الحديثة

حقوق الطبع محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

سَحائِبُ الرُّوحْ

سنان المسلماني



إليك

يا سحر الماضينَ بلا عَوْدٍ

يا سحر الماضينَ بلا وَعْدٍ



حيث تختبئ النجوم



إليك في المجرات التي تحتويك

إليك في المجرات التي تحتويك أمد ألف أمنية حالمة ، مضمخة بالتوق الممدد عرضها.

إليك أمد ما أبجل من لفظ كريم المحيا عطر الروح، عزيز المقاصد ، جميل السجايا ، وأنثره على ثناياك ، فتستوي الرؤيا على عرش اليوم المطعم بألف زمردة وياقوتة مؤتلقة.

أمد خلاياي ، شراييني ، أطرافي ، أتوزع ، أتقسّم ، أتطاول كما نخلة في أرضي الحزينة . تتطاول من البحر إلى السماوات ، من السماوات إلى اليابسة ، أنا أنتشر ، أتمدد عرض كل هذا الأفق إليك ، فمن أنت؟ بأي شكل أو قسمات سكنت فلك اليوم المسجّى ؟ وأي تفجر حملك إلى بوابة مجرّتي الظمأى مجردة من هيكلك الإنساني ؟ كيف أمكنك أن تفكي مفاتيح القالب الأسطوري ، وأن تتحرّري من الخيوط المدلاة من الغيوم الشرسة؟

سيّدتي ، نورستي ، حين أطلق أجنحتي وأفك القيد الجارح عنها تنتفض ، تستيقظ كل الطاقة الكامنة في أرياشها ، وحين أهزّ الطقس المراوغ حولي ، أدور به ، لا أفلته ، أقلبه رأساً على عقب ، تتمدد كل خصلة شعر في رأسي وتنساب ، تبرق الألوان في أثوابي وأتهيأ لكي أقفز في سماء المجرة باحثاً عن الطقوس

الفالتة من كتاب الهوى ، عن الحروف التي تتعقد فتكشف الأبواب التي تخفيك .

أيتها السابحة في فضاء لا مرئي ، لماذا تتفلتين كماء مزنة بخيلة من بين أصابعي وتتهبين الدقائق في ضياع لا يرعوي ؟

إلى أي زاوية مظلمة بهذه المجرة أرسلت أعضاءك ، ألفاظك ، همهمتك وموسيقى زفراتك كي تختبئ ؟

في أي كوكب أرسيت مراكِبَكِ ، أَطْلَقْتِ أَطْيارَكِ ، نَثَرْتِ ورودك المبهجة ، وفَككتِ عَنْ غِزْلانِكِ وأرانبك قيودها ؟

في أي فضاءٍ أطلقتِ نجومك وجلستِ تخيطين جروحك وأيّامك وأحلامك، تفزّزين الفراشات واليعاسيب والنحلَ ، تحدثين النملَ ألا يعبُرَ مواطنه ويتوغل في غابات وأنهار وصباحات جَسَدِكٌ ؟

في أي الصباحات المطفأة البعيدةِ عن عيني تحشدين جمع اليمامِ واللقالقِ ، والنوارسِ ، والبجع وتلقين خطبة المحبة ، تزركشين أفراح الطيور ، تعلمينها كيف تتقنُ الرقص على البحيرات الساكنة ؟

كيف تتغنى وتلهج بطقوس المحبة ؟ تعقدين ما بين أرواحها وتبنين أعشاشها في الغيوم السابحة على امتداد الكون؟

في أي الصباحات تطلقين الأفراس والخيول من مكامنها تتهبُ الأراضي المعشبة وتصهل مجلجلة في مدى سماواتك النعسان ، فيثب مذعوراً نافضاً عنه ألوانه ، مازجاً أفراحه بأحزانه ، مغيراً شكل سيمائه ؟

هذا المدى النعسان لا يتقن إلا الأحلام ، يعشق الاسترخاء وهو باسط أعضاءه ، كمن أُتْخِمَ من شراب لذيذ .

يمدُّ يده كمن يستجدي التفات الوله من عينيكِ ، أيتها المتوّجة على كل الأزهار الوسنانة.

في أي الصباحات يغتسل النهر من أدرانه فيك ، في يديك ، فتعشب أطرافه ، تثور مياهه ، تستعر دوّاماته ، تتقافز أحياؤه منتشية بهذا الغسل العظيم ؟

إليكِ في المجرات التي تحتويك ، في الصباحات التي تموء في ظلك كقطة وادعة ، تبوح بأسرارها المفزعة ، إليك في المساءات التي تلقي رأسها تعبة على كتفيك ، إليك والشمس تخلع عنها ثوبها المتهالك وتسقط مغشية عليها ، عاشقة مدلهة ، في أحضانك تنشد التمتع بدفء المساءات الحميمة .

إليك حين تسري السلاحف والقواقع مردِّدة أحرف اسمكِ ، لاهجة بالحمد للخالق على بزوغ نجمك وعلى فيض حسنك على اليومِ وكل يوم هي بالغته .

إليكِ كل الأحـرف المـشـوقـة ، كُلُّ الصـور المنـثـالة ، المذبـوحـةِ قرباناً لورود طلعتكِ البهية .

إليكِ كُلُّ مـا تعـتليـه النفس أو يعـتليـهـا أو مـا تذرفـه العين أو تبصره من صور عابرة أو مقيـمة مسيـرة ، إليك هذه النفس ، متى شئت هدوءها ، سكينتها ، متى شئت نزقها ، متى شئت عنفوانها ، متى شئت.

هناك تختبئ النجوم

تحت قميصك حبيبتي المدللة ، أيتها الحورية الفزعة ، تعشش أحلامي وانهزاماتي ، وبكائي وفرحي الذي ينتظر ميلاده.

فماذا أنت فاعلة بأحلامي الشرهة لقضم الأيام المجمدة؟

ماذا أنت فاعلة بالنوارس العاشقة انفلات الأجنحة ، اصطفاقها في سماء لا تغادرها الزرقة ؟

ماذا أنت فاعلة بالأمواج المقتحمة سكون اليابسة وهمودها ؟

ماذا أنت فاعلة بالأيام وهي تطوي ثوانيها في امتداد لا ينقطع ، وهي تتنامى متجاوزة قيودك ؟

كيف ستعوِّدينها على السكون الذي تتقنين ، وعلى الأحلام المعلبة والخوف المنسوج من خلايا الجسد المُنَزَّهِ كالأرض البكر ؟

كيف ستقنعينها بجدوى الانتظار على حدود الصبر ؟

حبيبتي ، أيتها الحورية المستلقية على شاطئ الجزيرة القصية ، يصلني صوتك مذبذب النبرات ، غير واضح المعالم ، يحمل لغة التعب اللذيذ تارة والوجع الثائر تارة أخرى .

ماذا تريد الألفاظ حين لا تفصح عمّا خبأته في جسدها ؟

ماذا تريد الألفاظ يا حوريّتي ، أنت تنسجينها ليلاً في عتمات الشواطئ الهادرة، من قواقع ومرجان وبيض للسلاحف المطمئنة، وبيض النوارس المهاجرة ؟

ماذا تريد الألفاظ وهي تقدّم اندفاعها لصدري وتؤخّر انهزامها إلى ما بعد رحيل القواقع المنتشية ؟

أيتها الحورية تحت قميصك تختبئ النجوم والنيازك والقواقع والحيتان .

في ثوبك تُهرِّبُ الغيمات الصغيرات الأسرار التي أخفاها البرق حتى لا تتحوّل إلى مطر من الألفاظ ناريّ الهيئة .

أيتها الحورية المتمدّدة عرض الجزر الوسنانة ، يتنفس الصباح والجبال الرابضة في يومك رائحة جسدك وهي تعطّر وجوه الأشجار ، والبيوتات الخشبية ، والمراكب المستلقية في عناء على الرمال الذهبية ، فتأتي اللقالق والنوارس بألف تحية لبزوغ نجمك واكتمال نضجك واستوائك على عرش المحبة.

تأتي اللقالق والبجع والطيور والنوارس بالسلال المحتشدة بالمحبة والألفاظ الولهة ، المزدانة بالدعوات ، القبلات والأنفاس الرطبة لتقدّمها إليك في بلاط حضورك أيتها المتوّجة ولا ملكة إلّاكِ .

عليّ الآن اصطياد الفراش المهوّم غربا ، واقتسام الحلم بيني وبينك.

عليّ أن أراسل الغيمات الشاردات ، أكاتبهن وأحكي لهن عنك وعن شطآنك ورمالها الناعسة .

عليّ الآن أن أعبر كل يوم هذه الصخور التي ترتسم في الألفاظ المهدرة والمسفوحة عند العتبات الملكية .

عليّ الآن أن أحصي كم من الأعين ستنفلت من عقالها وتجوب في أرجاء مملكتك ، والأعين التي تهوى رصد الطيور وهي ترقص أو تقبل بعضها .

كم من الأيام ستمر دون سلام ودون تحية حب ؟

كم من الأيام ستبيع تفاصيل هواك وهواي للأغراب ؟

عليّ الآن أن أبدأ بتعطير لحظاتي بصورتك المشتهاة ، بألفاظك ، بتحيّاتك ، بضحكاتك ، بخصامك ، بسكونك ، وأسئلتك.

عليّ الآن أن أعلم نفسي كيف تستفيق وهي تلهج بالثناء على حسنك يا حورية أيامي .

عليّ أن أفك قيود الأحلام الوادعة في أسرّتها وأداعبها ، أقص

لهـا عن رحـلاتي في مملكة عـينيك ، نعـيـمي في مملـكة شـعـرك ، وأطعمها شهد حديثنا.

عليّ الآن أن أحمّلها مسؤولية الاحتفاظ برائحتك ، بصفات هباتك ، بصورة ثمار حديقتك الطيبة ولغات أطيار عينيك حين تفرّزها ألفاظي الوالهة .

عليّ أن أرسم إشارات قلبي ساعة خفقانه وأقدمها لرسلك الواقفين على أغصان الروح ، أن أبلغهم كم مرّة يا حوريّتي داعبتني روحك واستثارتني صورتك، كم مرّة أضفتِ للصباح الذي يجاورني بهجة إلى بهجته ، وكم مرّة تعلقت بضفائر شعرك المرسلة في الحلم .

عليّ الآن أن أعيد كُلّ رماح الأخريات ، كل الخناجر المذهبة المسمومة المغروسة في صدري منذ زمن إليهن ، وأن أحزن على الألفاظ المهدرة منذ بداية الخليقة في وصفهن .

عليّ الآن أن أتألم على الأزمان التي مرّت ، وأن أحلم بمحاولة رتق الجروح التي تخلّفت من تلك الحروب .

عليّ الآن أن أعيد نصب هذا الجسد المثخن بالطعن ، أن أقيمه ليواجه أيامه المنكسرة ، وأن يتقن لقاء الأيام القادمة بالبهجة ، علّها تفي بما تعد .

ليتني

ليتني أنْفَذُ من الجدران إليكِ

من شجيرةٍ تَتَفَتَّقُ ورداً

بهجة ، غاردينيا.

من الشوارع المشتاقةِ لأوجه الناسِ ، وأرْجُلِهِمْ

من واجهات الدكاكين التي تَعْبُرينَها.

من الغيم الواهبِ لونَهُ للنفوس

أطلُّعُ من رحم الطقس

فلا أرضٌ أرْتَضي

لا جيد أتَعَشَّقُ إلاّكِ.

ليتني نهر يحوطُ بيتَك، يَتَلَذَّذُ بطَعْمِ وجهكِ.

ليتني أقحوانة تَتَنَفَّسُ أنْفَاسَكِ

تَتَبرَّجُ ، إذا ما أوت إلى يديكِ

وَاسْتراحَتْ في سرير كرمتك

أو تَعَطَّرَتْ منْ مَطَرِ شَعْرِكِ

يا أجملَ مِنْ أجملِ حرفٍ

يا أقسى مِنْ أقسى حجرٍ

قدري أنِّي إليك وهبت نفسي

وقدري أنِّي نبتةٌ تحت سماء

لا تمطر.

عينـــاك

يا أيتـهـا المُتَـوَّجَـةُ على عـرش الأيام السـابحـة تجاه المجـهـول ، عـيناكِ بوتقـةٌ من ألـم مكنونٍ ، عـيناكِ تغـادر أفـراحـهـا ورقصـهـا وغناءها ، تلوذُ بالزوايا الداكنة والظلال المتشابكة كالنخيل .

عيناكِ وهـجٌ ، برقٌ يسـتطيل ولا يتـقـاصَرُ عن المدى المُشْـرَعِ في مدينتنا الرابضة .

عيناكِ تراتيلٌ تحفها غـلالةٌ من ندى شفيف ، من ندى مـحمومٍ يتلوى كالأفعوان .

غـصــةٌ ببــاب اليــوم تكشفُ عن انهــدامِ الـروحِ ، عن تســاقط الأفراح كالأوراق الخريفية .

عـيناكِ صـراخ عَـزّ عليـه السـكوت في ضـجـيج الأيام الحـبلى بالآلام .

عيناكِ شراعٌ وسـفينةٌ تغـادر إلى جزر منسية ، هجـرتها الطيور والأشجار والأفئدة .

عيناكِ ما عيناكِ إلاّ ارتحال يَلُذُّ لهُ التسيارُ ، فإلى متى يتمدّد شـريان الرحيل في أفق حيـاتك ، إلى متى تغادر الأفـراح مكامنها وتستقي الأنات ؟

عيناكِ، ما عيناكِ؟

أسرٌ، نهرٌ غادر ضفَّتَهُ واسترخى على شفةٍ حيرى

ليلٌ مغبون .

وأرواحٌ تبكي سريرتها حين تغادرها الشمسُ لصبحٍ مطعون.

عيناكِ ما عيناكِ ؟

أبوابٌ موصدةٌ حيناً، وجحيمٌ مكنون

ونوافذُ مشرعةٌ حيناً على ألقِ الشفقِ المحزون

وأطيارٌ مُفَزَّعةٌ ، وأعشاشٌ مُنكَّشَةٌ

وأتراسٌ مُثَقَّبةٌ ، وأسيافٌ وجنون .

عيناكِ ، ما عيناكِ ؟

صليلُ أسئلةٍ جفلى

صهيلُ أفراسٍ ثكلى

حداءٌ يَسْتَلْقي في الظل المأفون

ودخانٌ ، ما مَلّ تكثُّفَهُ في صدر مسكون

وأمانٍ ، لا ، وأغانٍ في وقعٍ مسنون

فلمن تبكِ العينُ تُرى ؟

والشَّفةُ مُوصَدَةٌ

آياتٌ ونذور

والقَلْبُ يُعْلِنُ تفَجُّرَهُ

في صمْتٍ محرور.

فـــزع

يافـاتنتي ، يا توق نفـسي ، يا من تَتَـقـاطَرُ الأيامُ والأحـلامُ والأنفـاسُ والعيـونُ إليكِ ، لماذا تخـافينَ الكلمـات الوضـيئـة ؟ لماذا تخاصمين الهوى حين ينشب أظفاره في القلوب ؟

لماذا تلوذينَ بالصـمتِ كلمـا توجّـعت النفس وباحت وفـاضت ، وتلجئين إلى الوعود التي لا تثمرُ ؟

مـاذا يعني هذا الفزعُ من كلمـات الحب التي أطلقها فـراشـات متعبات ، ألم تفهمي من كل الكلمـات الوالهة أنني أهواك منذ أن التـقت عيـوننا لأول مـرة ، وأنني شـاغبت يومك لأُطلِقَ غـيمـة من محبة ، غيمة من توق معذّب ؟

آه يا مـلاذي الذي يتبـاعـد نـافـراً كفـرس جـامح وحـشي ، لو تعلمين مـاذا يفـعل البـوحُ المذبوحُ بالواله المسكين ، حين ينزّ داخل النفس فيحيل طقسها جحيماً من أسئلة لا تُطاق ، وحيـرة تخنق الروح .

بـــرج متـقـلـب

ضَـجّت أضلعي بالأسـئـلة الحـيـرى ، ضـجّ الفـؤاد بالكلمـات الباكية ، ما للأيامِ بي ؟ تعانِدُني وتستفزُّ خطواتي ورياحَ غضبي .

يحـيـرنـي تقلبُ نَجْـمِـكِ وَبُرْجِكِ وهذا المزاج الذي لا يسـتَـقِـرُّ، فاخرجي من جُبَّتي ومن قلبي ومن عينيّ .

ذري طريقي لانفلاته ، ذري أصابعي تبحث عن مكامن الأشواقِ في ظلمةٍ أو إشراقةٍ أخرى .

ذري أوراق حنيني تتبت في شجرة يانعة لا ميتة .

عَـذّبَني منكِ هذا الخـيطُ الواهـي الـذي يربطنا ، هذا الخـيطُ الذي يأكل نفسه كلّ صباح ، يخنق الأشواق كل مساء .

فدعي طيور روحي تبني أعشاشها في المدى الفيروزيّ ، تصالح الرياح ، تغني للشمس القادمة وللأرواح المتعبة وللبحـار التي ما تنفَكُّ تسحرها .

أيتـها المتـوَّجـةُ ولا نُعمى ، غـادري مـرفـأ الـروح ، فلربما هدأت نفسُكِ ، واستراحت أضلُعي ، ولَرُبّما استفاقت نفثات الحنين على البعد في أضلعك واستحالت أعاصير شوق .

زهــرة بــريــة

الرُّوحُ زَهْرَةٌ بَرِّيَّةٌ

شَوْكَةٌ بِحَلْقِي نَمَتْ ، أَفْرَدْتُ لَها

مفازةً ، علَّقتُ أيْقُونَةً

تُفَتِّشُ داخلي

في الدهاليز المُفَخَّخَةِ بالألَمْ

عن وجهٍ يَخْتَبِئُ

تَصْرُخُ ، تُنْشِبُ مَخَالِبَها في أَضْلُعي

تجلدني ، تحاكمني

أين خَبَّأتَ الوَجْهَ الملكيّ ؟

أين آثاره ، كلماته

وعوده الواهبةَ صفاءَ المَوَدَّةِ

رحيقَ الزهرات الوسنانةِ

مَجْدَ الظلالِ ، رخاءها

زهوَ الشموسِ المُتَفَتِّقَةِ ؟

الرُّوحُ غَنَاءٌ لا يَرْحَلْ

نافِذَةٌ للريحِ

وديانٌ لألفِ غول تَتْرَعُ حَليبَ النَّهْرِ المُتَفَجِّرِ

حقلٌ من رماحٍ يرتوي من دمائي.

طلَــلٌ

باردةٌ أنتِ الليلةَ كصحـراءٍ سوّرها الصّمتُ وعبثت بهـا الرياحُ الغربية ، كيمامةٍ تجمَّدت على شفاهها الكلمات ولذَّ لها البكاء.

من أين نستحلبُ الدمعَ ، والنهرُ جَمّدهُ الصقيع واحتبس المطر وغادرت الشمسُ مرفأها ؟!

باردةٌ أنتِ والمحـيـا استـحـالَ انكسـاراً في جسـد الليـل ، طللاً وبومةً تشهر الكآبة في وجه المكان .

غـادرت ضفيرتُكِ دفـأهـا ، وعيناك نعـاسـهـمـا ، واسـتفـاقَ الليلُ ، فإذا هو ماردٌ في مهجة الصحـاري الهامـدة ، كذئب هو ، طاب له السكونُ فعاث بين الخيام .

ما الذي يحيلكِ أثراً درسَ ، أو حيّة مَلت فريستها ، فـاستحالت لوناً ينهشهُ الصّمتُ ؟

تتبـو عنك الأوقـات ، فتستحيلُ إعصـاراً وأنتِ كمـا أنتِ ، داليـةٌ من شـمـع ، وقطافٌ من فـخـار ، هيكلٌ برونزيٌّ ، أو نحتٌ حـجـريٌّ موسومٌ بالآلام .

باردةٌ أنتِ ، وباردٌ هذا اليوم وحزين ، والكلمات تجلد نفسها كي تستعذب الإحساس بالفقد .

أفلا تملين الصمت ، حين لا يكون أبلغ الكلمات ؟

أمنيـــة

أشتاق إليك كاشتياقي إلى الأزهار والألوان والألحانِ المبثوثةِ في الفضاء العظيم .

أشتاق إليك كاشتياقي إلى مقامٍ عربي يضجُّ بالفرح تارةً وبالحزن تارةً أخرى.

عيناي معلقتان ، مسمَّرتان أمام نوافذ بزوغك ، تفيضان حيرةً إذا أطلتِ الغيابَ وتفيضان حباً وفرحاً صاخباً إذا أدَمْتِ الظهور .

قلبي مرفأ لأحزانك إذ تملأ الأحزانُ عينيك ، قلبي شراع طيفك إذا أقبلَ يُوَقّع الخطو بلحن التمني .

قلبي انتظارٌ مُجَنحٌ وفرحٌ مقيدٌ لا يَمَلُّ الإرتجاف ، والقفز فوق أوتار العذاب .

أنا انسكابٌ رقيقٌ إذ تُقْبلينَ .

أنا انثيالٌ شفيفٌ حين تَعِدُ الليالي المقبلات ، وحين تتبلجُ الأماني منك كالصباح .

أعلمُ أني سألتقيك دائماً ، سألتقي طيفك على صورة وردةٍ أو عصفورٍ مُتْعَبٍ مُبْتَلٍ بالأحزان ، أو حمامةٍ مقصوصةِ الجناح

مذعورةٍ أو غيمةٍ استراحت على شبّاكنا ذات صباحٍ ، أو ليلةٍ عابقةِ الطيوب .

أعلم أني سألتقيك وإن باعدت بيننا الأسوارُ والأيامُ والوجوهُ والأوقاتُ المثخنةُ بالجراح .

وأني سألتقي اللغةَ التي تحكينَ والابتسامةَ التي ترسمينَ والدمعةَ التي تسكبينَ .

وأني سألتقي الاخضرارَ الذي تزرعينَ ، والنوارسَ التي تطلقين.

وأعلم أن الأشياءَ ستكتسي أجنحةً ملونةً كالفَرَاشِ ، وتظل ترفرف من حولي دائماً ، تشعل القلبَ كلَّما غفا أو تَعِبَ.

آهـــــات

يا مُتَوَّجَة الخطى بالأمنيات

ما حظيتِ في يومك السادرِ من خيبات

عَطّرَتْ أيّامَكِ الأحلامُ

واستقبلت عيناكِ الغافيتان

وهجاً ، حنيناً نَديًّا، سراباً، رَغباتْ.

يا متوجة الخُطى بالخيباتْ

سلام على النفس المستكينة

سلام على النفس الحزينة

وطوبى للمسراتِ العابراتِ صَيفكِ القاحل

طوبى للأحاسيس القانتات.

كم خَضَّبَ المدى المجنون منكِ خَيالٌ شرودٌ

وأسرى في الليالي المتعباتْ.

كَمْ رَقَّ للمَحْرور وِرْدٌ زلالٌ

فَتَرَنَّم اليومُ واخضَلَّت الآهات.

يا متوجة الخُطى بالخيبات

هل يعرفُ الصبحُ ملاذ المُنى، ورقصةَ المذبوحِ على العَتَباتِ؟

هل يفهمُ الصبحُ بوحَ الندى

وإطلالَ الأسى من العَبَراتِ؟

وَهَــــــنْ

ليت أَنِّي مـا كـشـفـت سـتـر الليـالـي مـا أبحث ألفاظي وخلاياي وروحي في مذبح تقلباتك ، ما تركت نفسي أسيراً لجنونك أنت يا واهبة الألم العظيم.

كم من الأوجاع خلّفتِ ، أتعلمين ؟

كم من الخيبات رسمتِ على وجهي ، بصدري ، أتعلمين ؟

حين أتحسس الجراح التي لم تندمل بروحي ، أذكر كم عذبتني خطواتي الباحثة عنكِ ، عن وجهٍ فَرّ ذات مساءٍ كئيب المحيا والأنفاس .

يا خادعة، يا موجعة، ليت أني أدركت أنَّ الحنينَ زائف البوح ، وأنّ الشجيرات التي تخلّقتْ داخلي كانت عوسجات آثرن التمكن منيّ خفيةً ، دَرَجْنَ على اللعب بالرحابة المعطاءةِ ، والصفاءِ ، والطيبة ، والأُمنيات ، وأتقَنَّ غرز أشواكهن في ذاتي مرةً بعد مرة .

لِمَ أتشبثُ بكِ وأنتِ قاتلتي ، والجزءُ المهزومُ فيّ يحاولُ أن يحيا ، أن يُقوِّمَ انكساره، بفرض صورتك، واسترجاع حديثك وضحكك ونزقك وبث الروح في الأحلام التي أتلفت تفاصيلها، وباعت صورها ولذاذاتها وشفافيتها ووعودها؟

قلتِ لي ذاتَ يوم ، أنا لا أستطيع أن أحيا دونَ صوتك ، دون همسك ، دون صورتك التي تنام تحت جفني ليلاً ، وتستيقظ مع الطيور والنباتات والصباح الجميل .

فماتت الكلمات مع الأيام التي ولّت.

عجـــز

مـاذا أكـتبُ لكِ يا مـن تصـافحُ الكآبةُ أناملهـا ، تتعـقـد الأيامُ البائسةُ بجدائلها ، وينكسرُ خطوها الخائر فإذا هي منكفئة على خوفها ، على استكانة المهزوم ؟!

مـاذا علمـتكِ الأيام ؟ مـاذا علمـتكِ الألفـاظ المبـثـوثة في الصفحات التي صافحتها عيناك ؟ الرياح التي عصفت ببابك وشبابيكك ، والقابلةُ حين أسرت في أذنك يوم مولدك ؟!

مـاذا علمـتك المسـاطرُ ، الدفـاتـر ، الأقـلام، الألوانُ وحـصصُ الدروس الطويلةِ ؟!

هل حكت لكِ الوسـائدُ عن أحـلام لا تجيء ، عن فرسـان فقـدوا قامـاتهم ، خـيلهم ، عن زهرٍ لا ينبتُ إلا في رؤوس الجبـال ، وعن الرجـال الذين تجاوزتهم الأيام فـتـجـاوزوا عن صـورهـا وأحـرقـوا أخيلتهم، فعزّ عليهم رسم المستحيل ؟!

ماذا أكتب لك يا دائنةً ومدينة؟

أأكتب تعاويذ تمنح السـلام والرضا، أو قصيدةً محـروقةَ الفؤاد، دامـعـةَ العـينين، أم أكـتب عن تفـاصـيل وجـهك فـأغـيـر مـعـالمه، أستحدث ندوباً وبثوراً وتجاعيد رسمـتها الثواني الحزينة؟ أأكتب

عن شيء أَمْ عن فعل ينتمي ليديك، أم عن حرف قفز من لسانك ذات يومٍ فأثار زوبعةً بقلبي، أَمْ عن إطلالة وجهك على الصباح؟

لا أدري ماذا أكتب ، فكل الألفاظ والصور التي اخترقت مساماتي إليكِ ، والأحاسيس التي سكنت دمي ، لم تصل عتبة بابك ، ولم تغير من فصل الخريف القابع داخلك .

فماذا يمكنها الكلمات؟!

لـغـــو

كم من الأضواء تَنْحَسرُ وتَنْسَرِحُ، فلا أرى إلاكِ، إلا عينين ولساناً وشفتين، إطلالةً من فجرٍ وليدٍ يستحثني ويستحثُّ الخطى نحو فيئكِ، فما بال الظمأ يركز أوتاده في حلقي، وما بال يدي تحدث الأخرى عن زوالك.

أراكِ رأي العين ، رأي القلب ، فأنتفض كمن به مسّ، وألغو، لغو المستباح، أرخي حبال ذاتي ، وأشرعُ أجنحتي ، فلا أقبض إلا على سرابك .

يا واهبةً دون هبة ، يا ناسكةً دون نُسْكٍ ، يا حائرةَ المحيا والمسرى ، ومضيّعة الملاذ .

كم من الصور البائسة عبرت تلافيف رأسك الحبيب ، فأهلتِ عليها من أيامك الراكضات ، كم من الأحلام توقدت فأحالت لياليكِ الفزعة جحيماً.

من لي بتغيير المستحيل ، وعكس مجرى الدماء فيكِ ، بزرعي جنيناً ولهاً في قلبك ، وإعادة رسم تفاصيل وجهي ، فأولد منكِ ولكِ.

كـم من الأيـام تنقـضي ، وفـي انقـضـائهـا تنفض الفـراشـات ألوانهـا ، تتـرك الأزهار عـبقـهـا ، ويغـادر الـضوء الحـيـاة ، كم من الأيامِ تَمَّحي ، وفي ارتحـالها تتكسر الأجنحة المشـرعة على المدى ، فمن لي بتغيير الظلال واسترخائها ، من لي بعكس المستحيل.

أهـازيــج

رَسَمْتُكِ عَيْناً مفتوحةً على المدى ، تحدث أشباح الضياء ، وتستبشر ، عَلّ الأحلام تخترق الأبواب والنوافذ الموصدة ، وتحتضن الأجفان وتلعقُ الوَسَنْ.

رسمتُكِ سفراً منسوجاً من حكايا المتعبين والغائصين ، مُذَهَّباً بدموع الصبايا البكر، مكتوباً بدماء البحارة الذين ركبوا صهوة المياه وغنوا للخيبات المقبلات ، عزفوا بسلاسلهم الصدئة ، ورقصوا على جمر الليالي ، علّهم يستحضرون صور الأحبة مُجَسَّدةً ، أو وشماً على الأشرعة الحبلى بالهمود ، أو مرسومةً على عباءة الليل البهيم .

من ذا يهب العيون الحالمة فجراً وردياً عبق الرائحة؟

من ذا يهب نزف الروحِ عقاراً ، ويجلد الأنَّة حتى تبيح الروح فتح مغاليقها ، أو تشرع في الركض تجاه الضياء حتى تمَّحِي ؟

أعلم أَنّي أستنفد الشعر الجاثي في أركان الروح ، وأنّي حين أسجلُ وقعَ حوافر الجياد داخلي ، تقفز الكلماتُ إليكِ راقصةً ، ناثرةً وجهها المهور بالألق ، بالوجد الملون بالأهازيج والأحزان .

أعلم أَنّي أنسلُّ من شعرك المضفور مفزوعاً ، أُطْلقُ صيحاتي وصراخي هباء ، وأنّي أَسَّاقَطُ حنيناً جَنياً ، وأَنّي حين أهوي ، أو أُقبلُ أُثْمرُ ، وأنّي حين أرتوي أُشْبِعُ المدى بألواني وطيوبي .

احتـــــواء

ما الذي يبقى منكِ وأنا تحتويني أرض غير التي تعرفين؟

أرض لم تختبري هواءها ، سماءها ، شواهدها الباقيات ، ملامحها السمراء ، وجعها ، أحلامها .

أرض لم تتكئي على جدرانها ، لم تعبري جسورها ، ولم تصافحي النسائم في لياليها المقمرات .

ماذا يبقى منكِ وأنا أُغير الظلال التي نصبتها لنفسي منذ أن طلعتِ أول مَرّةٍ يا امرأةً من خشب الورد ، يا امرأة من صلصال ؟

ما الذي يبقى منك إلاّي ، وأنا ما أزالُ أفتش عن وجهي الذي نسيته ، لأعرفني ؟

ما الذي يبقى منكِ غير يدي ، شفتي ، عيني التي احتوت صورتك النورانية ، وأنفي الذي راقص رائحة شعرك ، وجيدك حين احتواك صدري ؟

وأنا ، ما زلت أفتش عني ، آه يا ملكة الحضور الذي لا يعرف معنى الرحمة ولا السكينة .

مـاذا يبـقى منكِ، ياآثمـةً ، غـيـر هذا الإثم الذي يربض في صدري ولا غفران ؟

ماذا يبقى منكِ غير هذا التيه الذي أدفعه فيرتد إليّ ، وغير هذه الأسئلة البائسة ، اليائسة التي تراودني ولا جواب ؟

نخيــل القــلب

إليكِ تعـزوُ السنابلُ انكسـارها ، واللقـالِقُ انتظارها ، والميـاهُ انثيالها الحزين .

إليكِ يا مَلِكة الغيابِ المعذبِ ، تعزو الرياحُ بقلبي أنينها وعويلها وجنونها .

فمتى تدفعين بالطيور العطشة إليّ ؟ متى أحيـلُ الكفين نهـراً من أمـان فـأسقيـها ، فـتنثني بأعناقـها إليك ؟ تسيلُ بأعناقـها الأمكنةُ والأيام ، تتـلاحق الأمنيـاتُ ، تتـجلى الصـور الخـبيئـات ، تنفض عنها أغشيتها الهلامية .

متى تدفـعينَ بالأحـلامِ ، وخـوابي التـوق الرابض ، فـتتـقلب كاشـفة ستـر من أفضى نفسـه إلى السكون ، وآثر جـمع الأشـلاء وخياطتها ؟

إليكِ يا مَنْ أدمنتِ خــوفَ الكشـفِ ، تتنادى الأيام بعـذاباتهــا وفـصـولهـا ، والخـلايا بانشطـاراتهـا ، وطرقـاتنا الذاهلة بظلالهـا وانحناءاتها .

إليكِ تتنـادى الأوراق الفـالتـةُ من إسـار الأشــجـار ، والسـدر الساكن بيوتنا القديمة.

تمد إليكِ النوافذ المشرعة مصاريعها ، تحتويك الأبواب والمجالس والغرفُ الموحشة ، النائمة في الظلمة .

تُسْكِنُكِ عرشَ الفجرِ المنتظر ، وتُهيِّئُ لك وسائدَ الذكريات ، وعسلاً من خلايا المحبة .

تُهيِّئُ لك خبزاً ، حليباً وتمراً من نخيل القلب .

بهجـــة

إليكِ يا مَنْ أشعْتِ البهجةَ في أيامي هذه

في صيفي المقيتِ هذا

إليك الحضور ينتمي والحبور والمدى المسكون بالفرح المجنح .

أنتِ يا أنتِ يا بهيـة الهلّة، يا حـاضنة الأفـراح والأزهـار والندى المتوثب .

تتبسطين مـرجاً من نغمٍ وألوان صـاخبـة مـجنونة ، وحقـلاً من أمانٍ حالمة هانئة.

ماذا ملكت يداك الغضتان من سحرٍ لا أقوى على دحره

ومن قوة على الحياة لا أعلم مداها وباعثها ؟

ماذا ملكت يداك من سهامٍ تنفذ حتى الروح ؟

لماذا لا تقلبين سلتك المليئة بالدهشة ، المزدانة

بالقواقع والأصداف والأيام الضاحكة ، فأحصي

الممكن من بهجة القلب ؟

لم تنهار السدود التي أبنيها حين تحاول اتقاء فيضك ،

لم تـخـضـر مـسـاحـات روحي وتزهـر الـكلمـات على لسـاني ،

وتتراقص المعاني حين تطلعين في أيامي هذه

حين تأتين كاليمام ، كالمحيا الجميل ، كالحداء في الليالي المتعبات ، كالقهوة .

حيث يسكن العطش ويعرش على الشفاه والصدور الهامدة.

مَنْ علَّمكِ إتقان البهجة والقفز على عذابات الأيام ؟

مَنْ زرع الحبَ في عينيكِ وأشاع الدفء لليتامى والمنكفئين على الحزن والوحدة ؟

مَنْ علَّمكِ نزعَ الأسى وغرسَ شقائق النعمانِ في العيون ؟

مَنْ علَّمكِ السطو على الوقت المنسرح وامتلاك

صيفي هذا؟

ذكـــــرى

ما أصعب طعنات وعودك التي لا تتحقق ، طعناتٌ متتالية في جسد الأيامِ .

لست أدري لماذا يعتريك هذا الفتور ، يضرب أطنابه ويتمدد داخلك ، فينشئ ظلالاً من وهنٍ وألَمْ .

لم تعد الكلمات تبني جسراً نحوك ، ولم يعد الشوق يثير فيك اشتياقاً.

تطاولَتْ مِنْ حـــولكِ الأيامُ والليـــالي والجـــدران ، وانغلقت السماوات والنوافذ المشرعَةُ على المدى.

لِمَ أدمنتِ على معايشة الظلال القاتمة ، والهذر ؟

لِمَ أدمنتِ حكايات الأشكال ، القشور ، عشقت الأصباغ ، الملابس ، الحقائب الفارغة والمرايا الصغيرة ؟

لِمَ أدمنتِ أحاديث السفر ، الأماكن المشتهاة ، الأسواق والشراء بلا حدود ، الأزياء التي لا تنتهي ، وقضاء الأمسيات الحزينة بهذا الصيف المقيت ؟

ما عادت الأيام تحمل إليك أفراحاً ، ما عادت البهجة تطل من شبابيكك المغلقة ، ما عادت الصور الحالمة تغزو لياليك ،

وصـدرك ، ولا الجيـاد المطهـمـة تمد أعناقـهـا إلى شـرفـاتك ، مـا عادت الأزهـار حلم يومك ، ولا الأشجار غرس ضحكك .

ما عدت أنا من أنا لديك ، غدوت ظلاً باهتاً من ظلالك وقصة تجاوزتِ عن سرد تفاصيلها .

ما أصعب النسيان لديّ ، وما ألذّه لديك .

بي حنــين

حين تقفين في مواجهة الكلمات ، وتتعكس الأحرف في مرآة عينيك ، حاذري أن تنقلب المعاني وتحترق الألفاظ في مجمرة البؤبؤ العسلي .

وحين تتمتمين بصوت هامسٍ ذبيح ، حاذري أن تجرحي جسد الألفاظ المسجى بين شفتيك.

أيتها الوالهة أينَ أنْتِ مُنْذُ مساءاتٍ مَضَتْ ؟

أين أنتِ منذ آلافِ الانتظارات ؟

هل مازلت تمارسين لعبة الضياع بعيداً عن شطوط الأبوام المتعبة والنوارس المجروحة والأشرعة الممزقة ؟

أيتــهــا الوالهــة ، بي حنين لا يملُ المكوثَ في ظلام هذي المساءات.

بي حنين لا يمل ، وإن ملّت الرياح الأنين .

إن ملّت المساءات المجيء

أو ملّت هذي المراكب اصطباراتها

إن ملّت الأفلاك دورتها .

بي حنينٌ إليكِ وأنت معلقةٌ ما بين الوصل والقطيعة.

بي حنينٌ لأن أنام في حضن أحلامكِ كفارسٍ وحيد

كنبتةٍ نادرةٍ ، أو كوردةٍ تملك سرَّ الخلود.

آهٍ ليتني حجر.

نجمـــــة

قالت حين طرقت أصابعُ الليل باب سكينتها :

تعال كَفّنّي بساعديك ، واحجب عنّي الضوءَ المخاتِلَ

هذا الهواء المقاتل، هذي الرياح

أقبل كنجمة تثقب السماء إليّ

تَزوَّدْ من الجمر الرابض

بصدري ، زوّادةً لأيامك المتخفّية بعباءة الآتي .

ألْهب ظهور الجياد الساكنةِ دمي

انتقِ لي حكاية يا مُتَوَّجاً على مملكَـةِ الـروحِ ،

من حكايات غـربتك

تستفزُّ خيالاتي

أنا المقيَّدةُ بعقالِ الصبرِ والأيام.

أجنحتي عاجزةٌ وأنا بي توقٌ إلى الأنهار

بي ولهٌ لرحيلٍ لا يُقْبلُ ، ولغيومٍ بيضاءَ

تتشكّل كالجبال ، كالوديان

وكالناس

وجوهٌ وظلالٌ ، أجوس فيها ، أحادث المخلوقات الغريبة

وأنتَ ، بي رغبةٌ أنْ أراكَ هناك

لكنّك كالأشباحِ التي تلتفُّ حول جسدي

تعوي وترقص رقصاً محموماً

تحملني على غلالة بيضاء وتهوي بي إلى جُبٍّ معتمٍ

موحش .

لاتــرى إلّاي

فارسةٌ أنتِ في انتهاب المسافةِ

ما بين قلبي والمدى ، يعزُّ عليكِ

الوضوح ، ويستعصي عليك التَودُّد

والانثيال ما بين ذراعي

فارسة أنت في الهروب ، مغلفةٌ بالأسرار

محاطةٌ بالأقفال والأبواب والأسوار

كقلعة ساحليةٍ تقبعُ على رأس جبل

تتزيّا بالحراب المسنونة

والسيوف المصقولةِ والدروع المفتولة

تعلّقُ ألف غيمةٍ مدججةٍ بالرماح

والنبالِ في سمائها ، وتستنهض

مليونَ موجة وحشيّة إلى أسوارها .

أحيلك صورةً مخفَّفَةً في خيالي

منضَّوةَ الأسلحةِ والأسرار والغيوم

صورة أزرع فيها رغباتي وأهوائي وأحلامي

وظنوني وشططي ونزواتي ، وأنت ما زلت

عصيّةً على التحوّل ، ترفضين الرضوخَ لي

فلا أملكُ إلا محو الصورةِ وتدميرها

في طقس ذاتي ، ورسم صورة أخرى لكِ

طيّعة الهوى ، تتفنن في التقرب لي ، كعصفورةٍ

وادعةٍ ، معطرةٍ بالوجد ، مراشفها تَتْضَحُ عسلاً

مصفى ، عيناها لا ترى إلاّي ، أنفاسها تتزود

بأنفاسي ، إلا أنني أعجز عن رسم الصورة

كاملة ، لعلمي أنك فوق أمانيَّ وأحلامي

وأنّك لا تثبتين على حال ، وأنك ما زلت

عصيّة على الهوى ، تتصنّعين الرضا ، وتعشقين

التَّبَدُّلَ والتحولَ ساعة ، ساعة.

المبعثرة في ليلها

آهٍ يا مذبذبة الهوى ، تتنازعك الأُمنياتُ

المبعثرةُ ما بين نجمٍ يضيءُ أحلامَكِ

وليلٍ مبهمِ القسمات يغلفها بالصّمت.

فماذا أنت فاعلةً لمهجةٍ تشتاقُ

وجهَكِ الحبيبَ حين يطلُّ ؟

وتتفجر من أجلك حين يضطرب الرأس

الصغير.

ماذا أنتِ فاعلةً في ليل وحدتنا، وليل

اشتياقنا ، وليل هروبنا من أضلع

الوقت إلى بوابات الدهشةِ

والحلم الجميل ؟

آهٍ يا مذبذبةَ الهوى

أعلم أن الشبابيكَ التي تَفْتَحُ مغاليق

صدورها في الصباح ، تعقد العزم

على استقبال دفقة من حياة وليدة

وأن الشبابيك التي تفتح أعينها في

المساء تحتضن الأحلام السابحة

في الفضاء ، المهاجرة من أمكنة أخرى

فمتى تنفض شبابيكُك حزنها ، تفض

مغاليق ذاتها ، تبوح بأسرارها

تلهج بلغة ملونة بالفرح ، وتتزيّا بالأمل ؟

متى تغادر الدمعة موقدها ، تطفئ

النفس جمر سرابها ، وتهنأ العين عند

مرافئ الحنين ؟

آهٍ يا مذبذبة الهوى ، صمتك صمت

القَوارير المختومة ، صمت الزهرات

حين تفتقد اللونَ والعبق والغيث

صمتك ، صمت النخلة حين يعزُّ الطلع

صمت الآبار والحدائق والأطيار حين

يهمي الليل بمطرقته على الصدور .

لـيـت لـي

ليت لي القدرةَ على أن أحفر وجه هذي الطريق

المعَّبدة لغيري.

أن أرسم في صدغيها هلالاً ونجمة لي ، تذكاراً

لوجع يشيّعك ساعة الرحيل.

أن أنثُرَ شيئاً من ريح هذه الصحاري الواجمة ،

العطشى.

وشيئاً من شمم هذي البيوت البيضاء التي لا

تعرفُ الغدرَ ، ولا اليأس ، ولا التواري .

شيئاً من وداعتها رُبَّما

شيئاً من حنانها رُبَّما

شيئاً من لحنها

من إيقاعها الممزوجِ بالأماني

وشيئاً من زمانها ، من زماني .

ليتَ لي وجهَ ابنِ ماجد ، شراعَهُ ، رحيلَهُ

فنارَهُ الوقّادَ في سماء البحارِ العليلةِ

كي أحطمَ العجزَ الكامنَ فيَّ

وأفكَّ قيود النوارس المعذَّبَة في مراقدها .

ليت لي غير هذا الوجه ، غير هذي اليد ، غير هذا

الاسم ، كي لا أكتب عنكِ ، أو لأباعد ما بين

حرفي وقلبي ، أو أنأى بروحي عن رمح غيابكِ القاتل .

أيها الأزرقُ العظيم ، يا بطن المجهول المعلومِ ، خذني

إليكَ اضمامةً من ورقٍ مسكونٍ بالحرف المنبوذ .

خذني إليكَ حزمةً من أعشاب هذي الأرض

عبداً يغنّي وَجَعَهُ الأسودَ ، جلدَ

ذبيحةٍ نحاسيَّ القسمات

خذني إليكَ وشماً ممهوراً على جسدِ قارب عتيق ،

دفقةً من ضياءٍ يُحْتَضَرْ .

أرى في الحلم

أرى في الحلم الصيفيِّ أنَّ قلبي تفاحة مقضومةُ
الأطرافِ مطعونةُ الظهرِ بسكين الوعود
وأنَّ العسل المصفى في قلبي حُقٌّ من مرارٍ
وزوّادةٌ من جحود .
وأنّكِ في الحلمِ متوجةٌ مربوطةٌ بخيط من
الصوفِ ، يتباعد الوجهُ مرةً ، يتراقص الوجة مرة ،
يهبط ، يعلو ، وَيَتَفَلَّتُ في سماء الحلم الصيفيِّ .
وأنَّكِ قُبَّرةٌ وسوسنةٌ ، وزهرةُ غاردينيا ، وأنَّكِ
دخانٌ ، بومةٌ على غصنٍ يخرجُ مِنْ صدري ،
وأنَّكِ نخلةٌ تهربُ إذا ما الطيرُ قاربها ، وإذا ما النجمُ
لاعبها بكت ، وَفرّت تشتكي للمدى الأسْوَدِ ، للبحر .
أرى في الحلمِ أنِّي أسيرُ بعيداً عنكِ ، وأنّ وجوهاً تخرجُ
مِنْ ظلمةِ الطريقِ تبتسم ، وأخرى حائرةٌ ، وأخرى
مُدبرة ، ووجوهاً تتساءَلُ عن معنى المحبة ، وجدوى

الصبر ، والنكرانِ ، والنسيانِ .

تتساءل عن مَغَبّة الهجران ، وعن تفاصيل الطريق .

وأرى في الحلمِ وجوهاً بلا شفاه ، وشفاها معلقة

بأبوابٍ قاتمة اللونِ تموء بلا صوت ، أشكالاً لم تتضج ،

أو تَتّضحْ ، أو تَتَزَيّا .

أرى في الحلم أنّي بلا قدمين

أطير ، أسبحُ في سماء أثيريّة .

في الضيء

يا مالكة يومي ، وغدي لو أردتِ وشاءَتْ دفقةُ النورِ منك انصهاراً في ذاتي ، أنا حرفٌ يحملُ عبء الشفاه المطبقات على اللظى ، ووجعَ البوح بمكنون الصدر ، واستنزافَ الروح .

أنا حرفٌ يمسي على ذكرك ووصفك واختزان بريق عينيك والارتواء من ينابيع حديثك ، وَيُصبحُ فيشحذ نفسه ويتطاول حتى يليق بهلاّتكِ وبالمثول أمامَ نورك .

فهزّي نخلةَ ألفاظك وابتساماتك وعذاباتك وأفراحك وتوقدي.

أنت يا أقرب من حلمٍ وأبعدَ من واقع ، دعي هذا الجَنيَ العظيم يستبيح أغوار النفس والوهاد ، ويبتني له عرشاً من محبة وودٌ رَحْبٍ كريم.

دعي هذا الجنيَ الحبيبَ ينسربُ إليَّ أنا الحرفُ اللاهجُ باسمك والنابضُ بِهَدْيِكِ.

أنا الساكنُ على حَدٌ السَيْفِ ، تعذبني الخطوة تجاه المِقْبَضِ وتجاه الموت.

ما بين اليقظة وبين الخمود مُعَلّقٌ بفيضِ وجودك ، فلا تستري هذا النور الدافق لئلا تجتاح العتمة مساحات الروح.

مـن أنـتـهــر الســـاعـــة ؟

كم من اللغات تستنطقها عيناكِ حينَ يغيضُ طيفك وكَم من المسافات يعبرها شوقي حين تلجمين عينيك عن ورودِ ضفافي ، وأنا البحر حينئذ ، في عجزه واستكانته ، جف حلقه من كثرة التصبار ، وَمَلَّتْ أصدافه عزوف الأميرات عن لآلئها .

من أنتهرُ الساعَةَ ؟

أالصدفة التي ما فتئت تخون مُلازمها، ورفيق غربتها ؟!

أم الطرق التي شاخت أمام ناظري قبل أوانها ؟!

مَنْ أَنْتَهِرُ الساعةَ ؟ أأسئلتك التي واظبت عن تعمد على كشف جهلك بكنه البوح ؟ أم أجوبتي وألفاظي المذبوحة الأنفاس ، أم أحزاني ؟ والحزن انثناء الروح على مواقد الليل ، مواقد كموائد مشرعة للنفس .

آهٍ يا سيدةَ الليالي المشبعة برائحة احتراقي ، كم من الثواني تموء بلحم الوقت، تستنهض غيمة الروح أن تمطر ، وكم من الذرات تنتظر أن تغادر صحاريها ، وأن تتشكل هيكلاً لآدميٍّ بلا عناء ، وكم من التراتيل تسابق انفلات الشفاه فتبني في مهجة الكون لها بيتاً من حنين .

آهٍ يا سيدةَ الليالي الباقية ، من أنتهر الساعة غير وجيبي ، غير القدرة التي تقيم لك مع كُلِّ صباح داخلي مَيْتماً للعزاء ، وتستنهض ليلي وتستنهضني لتعلي من رسمك في سماء الطقس ، وتضمِّخ المكان بطيوبك وتوقد النفسَ لاستحضار طيفك ، وتشعل الليل تمائم من فرحٍ طفولي غرير .

وضــوح

هل فـهمتِ الآن مـا معنى أن يُسَطِّر فيكِ الوالهُ كلمـاتٍ من وَله ، وأن يثّبت أوتادَ روحـه أمـام مشكاةِ نورك ، يا أطيبَ وأعـذبَ وجـهٍ وشفةٍ وعين ، يا أجملَ هدي في صبحنا الوسنان ؟

هل فـهمتِ الآن ، أم يثنيك غمـوضُ الأيامِ الماضيـة ، عن إدراك المعنى ؟

كلّ هذه الكلمـات النابضـة بالهوى يجب أن تحيلك إلى إدراكٍ لا يعتمر البرودَ والتجاهل.

هـي أنّاتُ محزونٍ مذ كانت وكان الهوى متّقداً في الضلوع .

هي تبـاريحُ مـجنون يداري لهـيب جـوانحـه بالصـور المجنحـة الحالمة ، بالصـور النابضـة بالألوان ، حتى تشيع الفرح وتستر الألم .

هي رقصـاتُ نورسٍ تائهٍ يسـتجيـر بشـواطئ من نار وبظلٍ يتـزيّا بالخوف ، ويتقلّدُ ماضيا مثقلا بالحكايات .

فانتصبي قامةً من رفضٍ أو قبول ، من فهم أو تجاهل .

حدّدي مسار الأطيار تجاه المياه الدافئة أو تجاه الصقيع، تجاه الرعود أو تجاه الغيوم الحانية الدفق .

والهبي الدماء في شرايينها بحزمة من ضياء رضاك أو هبيها انفلات اللاعودة.

يا عــين .. يا لـيــل

لاشَـرَكَ إلاّ هذه العينُ ودمعها ، بهجتها ، رعشتها المستفزّةُ ، يومَ أن تفاجئك ببروزها واستدارتها ونفورها في طرقات أيامك .

لاشَـرَكَ إلا هذا البُـؤبُؤ الملحاحُ حينَ يعقـدُ عَـزْمَـهُ على جعلكَ تميمةَ حَظِّه ، وساكِنَ بطنِ لحْظِهِ ، فيجلِدُكَ صباح مساءَ وقتك ، وأنت لا تملك إلاّ إذعاناً وورودَ فيض حسنه ، ونعمائه عليك ، فهلاّ انبْتَ ، وأقْرَرْتَ بِعَجْزِكَ عَنْ رَدِّهِ ، وقلّة حيلتك في صرفه ؟

كم يملأني البكاءُ حين يأتي صوتُكِ من حضن غيمةٍ باردة الجوانح شرود ، وتستفيق فيّ رعشةٌ لا تنتهي إلاّ على شفا روحي .

يا للملكوت الذي يشيّدهُ البكاءُ ، يا بَرْحَهُ حين يستوي فَيَحْجُبَ القدرة .

حين ينضو عن النفسِ غطاءها ، يغور في دهاليزها ، يفتح أبواباً ما كان لها أن تُفْتَحَ ، يستثير مَرَدَتَها ، يحفر أخاديدها ، فتجري فيها أنهار مالحةٌ ، تفزعُ فيها أطيارٌ مكسورة الأجنحة مفجوعة ، وَيَلذُّ للطقس ساعتها أن يسقط مغشيّاً عليه.

في حمى العرش

يا توق نفسي ، يا هدي روحي ، أيتها المنبثقة نوراً إليّ ، ومنّي.

إليك أتقافَزُ فراشة شدّها النور الفائض من روحٍ سكرى بالضوء ، فماذا أنت فاعلةٌ في يومي ويومك هذا ؟!

هاأنذا أُطْلقُ رايةً من محبةٍ في سماءِ يَوْمك ، وأُعْلِنُ أنّي ما غادرتُ حِمى عرشك إلاّ لكي أعود مشدوداً بحَبلِ ضيائك ، أحوّمُ حولَ عينيكِ لعلّي أظْفَرُ بالرضا ، بِصَكٍّ التطواف ، وأنهل من ورْدِ الشفتين العسلاوين .

أنتِ يا مالكةَ زمام الأطيارِ والنوارسِ والفراشِ والإصباح والندى والفرح المجنح في أرضنا الجرداء العطشى ، هبي ورد اليوم لونَهُ المُشْتَعِل وعطرهُ المفضوح ، هبي عَصافير شجيراتنا انطلاقتها ، عنفوانها وأغانيها ، هبي نوارسنا شطوطها وأمواجاً تحتدمُ ساعةَ التلاقي .

يا فرحي المرتجى ، وسكينتي وهوايَ أنا في فيء كرمك ، وقلبي في فيء لظاكِ ، نار نورك ، يتجرّعُ شجناً من ذاته ، ينهَلُ أملاً من سعيه ، وَيسْتَرِقُ السَّمْعَ لعلّ وجيباً أو شجناً أو حُسْناً يهمي إليه ، فيطيب جنا ولعه ، ويطيب مدى فيئه.

هاأنذا بقرب حماكِ نصبتُ لي خيمةً من ولهٍ علّكِ واهبةً يا أطيبَ مِنْ أطيب نفس ناديتُ ولَجأت ، ولم أُسررْ ما أكْتَنْتُ ، فأبَحْتُ ، فماذا في وسْعِكِ يا موئِلَ روحِ التائهِ العَطِشِ إلى فيضك ؟

أسئلة

حين أُفيقّ من سحر عينيك وأدركُ أن التعاويذ التي ادّخرتها لمثل هذه اللحظة ، لم تدفع عني الوله بها ، لم تجنبني السقوط في حبائلها وتتبع دورانها واستقرارها ونفورها ورضاها وسعادتها وحزنها .

وأنّ التعاويذَ التي دَاومْتُ على حِفْظِها مرات ٍومرات خانتني وَقَلَبَتْ لي كُلّ المعاني وفرّت هاربةً مع أولِ رعشة ٍلجفنيكِ ، مع أول خفقة ٍ، مع أول بريّق.

أُوْقِنُ أنّكِ جمعُ فصول الهوى ، قضاءٌ يستحيلُ النكوصُ عنه ، ملاذٌ مُحَيِّرٌ وأتونٌ من المتناقضات ، وأنَّكِ عذابي اللذيذ المُستَفِزّ .

تتقاطر أسئلة شتى تَلفُّ نفسي المتعبة ، تغلّفها برغبة مجنونة للمعرفة والهدوء والفرح ، فلا تجني إلاّ سياطاً من قلق .

لِمَ تَعِدُني عيناكِ مواعدَ صادقاتٍ حين أغرق فيها ، وتتوعّدُني الأيامُ بِنَقْضها واسْتِباحَة رحابتِها ؟

وحين تغفو عيناك وأحاول كسر مغاليقها ، سبر ظلماتها ، قراءة أحلامها ، لِمَ تدفعني وتلوذُ بالصمتِ فلا تحدثني وأنا المعلّقُ على حَدّ الجفن ؟

آخـــر الأوقـــات الطيبـــة

مُضَمَّخ أنا بالحكاياتِ والألفاظِ الموجعةِ الذاهبة إليك، لعينيكِ التَّوَّاقَتينِ لفرض اللاجدوى واللاوجودِ واللامعنى على ساعات يومكِ ويومي .

كُلُّ الأنفاسِ المسفوحةِ في يومي هذا تهيىءُ فتنتها وتستبقُ النسيانَ الذي يسمق إلى ذاكرتكِ ، يشمُّعُ جدران القلب ، يطفئُ أنوار الروح ، ويحرقُ ظلال ملاذكِ وملاذي .

يا آخِرَ الأيامِ ، آخر الأوقات الطيبةِ ، يا آخِرَ نشوةٍ ، يا آخِرَ رهامٍ[1] من آخِرِ غيمةٍ . من آخِرِ مدى .

أنتِ كالأحلامِ التي لا تَستَقِرّ في مضجعي .

أنتِ كالوردةِ التي لا تستقيمُ في أضلعي .

وأنتِ أول القاتلين وآخِرُ الناهبينَ للحرفِ الذي لا يعي .

يا وعداً ببابِ الصبح ، وَخِنْجراً بباب الليل .

مفتونَةٌ أنتِ بسريان الأيامِ واحتراقها ، وبالملل العظيم حين يقبع بجوار رأسك ويمسك بأنفاسك وصدرك وجدائلك .

---

١ - الرهام : المطر الخفيف .

مـفـتـونةً أنت بارتداد الأحـلام البـاردة المطفـأة إلى أحضـانكِ ، بالتهام الأحرف واجترار القصص المروية آلاف المرات.

مـفـتـونةً أنتِ بمراياكِ وضـحـكاتهـا الخـادعـةِ لك ، بأصـبـاغكِ وبتجاربكِ في إخفاء ما يترهل ويتجعّد ويغادره لونه .

مفتونةً أنتِ بما يمضي بك بعيداً وأنتِ مقيدة مثبّتة كأي إطار فارغٍ .

مفتونةً أنتِ بأشياء كثيرة ، ولكني لا أرى الوجه الذي تضعين .

هــــذا أوان الصـــهـــيــــل

أيا امرأةً تَضجُّ في دمها وترتجُّ ، كالبراكين الساكنةِ على جمرٍ ، هذا أوانُ التــفــتُّح ، هذا أوانُ الرياح ، هذا أوان المدِّ وامــتطاء الصـهـيل ، وانسكاب الصـحـراء على الخـيـام ، وامـتـزاج البـحـر بالسماء ، واصطفاقِ الليل بالنخيل.

هذا أوانُ ارتداد الطين إلى ارتعاشـتـه الأولى ، وانبـثـاق الوردة من مكمنها .

وانتفاض الشفق في مداه .

أيا امـرأةً تتـململُ الأشـواكُ فـي خـمـيلتـهـا ، تصـرخُ الورودُ من لهفتها ، وتتدلى الأوراقُ من شفتها ، هذا أوانُ السُقيا ، فانتهري الصُّبْحَ كي لا يعود ، وانثـري جـمـركِ المؤُود في صـدر الليـالي الحالمة ، واحترزي سطوةَ العهد الخؤون .

أيا امـرأةً تَستَحْضِرُ الصـورَ الخبيئة وتنشرها على الشطوطِ الراجفة ، على الأوقات الواجفة ، هذا زمـانُك فتمددي عـرضَ المكان وانسكبي في مهجة اليوم ، في عروق الأشجار الباسقة ، وانسربي مع استفاقات الجنون .

أيا امرأة من ثريا النجوم الماجنة ، هذا أوانُ التماع العيون ، وسكون المحيا، وانفلاق الجفون ، فتثبتي من انكسار الشمس على يديكِ ، ومن انثناء البرق على ساعديك ، ومن ارتواءِ الغيم مِن شفتيكِ ، لئلا ترتاع الطيور ، وتتخلى عن ألوانها ، أحلامها ، لغاتها .

لئلا تتساقط الأطيافُ ، وتهرب الطيوبُ من سمائنا .

لئلا تهاجر الخيولُ إلى فلواتٍ أضيق ومدائن مندثرة.

لئلا تغادر الغيومُ ماءها، والأرض مدارها.

أيا امرأة من لهيب الصيفِ انبثقت

هذا أوانُ الصهيل.

عطرُ التوق

أغنيتي في وهج النهار تصطلي وتظل تردد أحرفاً مشبعةً بعطر التوق .

تضمها إلى بعضها تارةً وتطلقها تارةً أخرى ، فإذا هي شراعٌ وحقلٌ من نجومٍ ، وإذا هي وردة منقبضة .

ماذا ترتجي الكلمات حين تجلس على حافة الضوء منك ؟ إلى ماذا تتوق ؟

أسئلةٌ معلقةٌ على إجُاباتك الصامتة أو المالحة ، أو الفاقدة البريق .

أسئلةٌ تبدو كالخفافيش أو كالبوم الذي يلذ له ثبات النظر إلى المساحات الفارغة.

هل تنتهي المعاني إذا ما أقمت بينك وبينها سداً من مناجل أو سداً من حمم؟

هل تذوب الكلمات ، المعاني ، الأَرواحُ التي تهذي بعشقك ، وتدفع الظلال التي سكنت جانبيكِ ؟

هل تذوي الذاكرة وتضمحل وهي ترتوي من فيض تفاصيل الأيامِ الباسقة فينا ؟

ما زالت تلازم الأمنياتُ الأرواح وأنت على البعد.

ما زالت تضج بالصباحات وبالليالي الدافئة وبالخيالات.

إلى أين تمضين بالذاكـرة ، وهـي لا تقـبل الدفنَ في الثـواني الرتيبة ، لا تقبل الدفن في الأيام العصيبة ؟

أعلم أنك تستغربين هذا التوق ، وهذا الشوق الذي يمضي فيَّ كالسيف ، فالروح ترانيمُ من اخضرار دافق .

والروح أودية نابضة بالإيقاع ، وباللغات المستفزة .

حتى وإن كانت الوحدة والكآبة والحيـرة كل ما تمتلكين ، كل ما تهبين ، كاللقالق المعلقة بين الحياة والموت .

كالمحار ، كالبحر وكالردى .

حـدثني خيــالك

من زيتـونةٍ مـبـاركـةٍ تخلَّقتُ ، واسـتطلتُ ، وأورقت واخـضَـرَّت أطرافي ، ومن زيتها العَطِرِ جرى دمي وتفجر، أنا شقيقة الفجر المسجى على خَدِ الأفق .

أطلعُ كما الوردة في الصباحات الجميلة ، كزهرة عباد الشمس شعري المنثال على جسد الوقت والأيام .

هكذا همس خيـالك في أذني ساعة بزوغه ، حين أرخى عباءته على وجهي والتحم بـروحي، وعزف من قيثار غاياته ، فحدثني عن صبابات الورد وتوق الندى وانبثاق الوجد في طقس الليالي .

حدثني عن صورةٍ مسجاةٍ بأحضان اليمام ، عن صورةٍ مذهبةٍ مـرسـومـة على أجنحـة القلب ، عن قـصص تُدَمِعُ العينَ وتزرعُ في الفؤاد بذرة الأسى ، حدثني عن أيامٍ انقضت ، وأيام ستأتي ، عن أحلامٍ تثير الدهشة وتستفزُّ الألفاظ المختزنة بأطراف الجوانح .

حـدثني عن تغـيـر الفـصـول ، عن تواريخ الأوراق الطالعـة ، والأوراق المنبثقة ، والأوراق المتساقطة ، عن الغيم وسلطانه .

ثم أوسدَ رأسه على صدري كما الأحلام ، وقال دَثّرني بالمعاني التي لم تتـشكل في مـدى روحك بعـد، هَدْهِدْني بالأغـاني التي

أطلقَتْها الساحراتُ في صيفكَ الماضي ، فأُوقنُ أن الصحراء التي حملت بك لم تجدب ، وأنّ الرياح التي انفلتت فكت عقالها من ذاتك.

دَثّرني ، فلقد أعيتني أجنحة الشوق، وأسقمتني الليالي الذاهبات.

الليـــــل

الليلُ طويلٌ ومتعبٌ كمفازة ، وهذا القنديلُ العابثُ ما ملّ قفزاته ولا عثراته فوق جسدِ الظلمة .

من بيده مفاتيحُ ملكوتِ هذا الليلِ ، من بيده فك طلاسم هذا الوشاح المطرز بالآهات ، المثخنِ بالصمت واللوعات ، والعيون المنبثقةِ كالأزهار الحمراء .

الليلُ يقتفي خُطوات النفس ، يشاغبها ، يغني أغنية من لوعات غائصٍ مسكين .

الليلُ يحمل طبوله في معطفه ، وراقصيه في جوربه ، وعصا ما ملّت منادمةَ الروحِ .

الليلُ يَعْشَقُ الأطفالَ اليتامى ، والأرغفة التي لم تؤكل ، ويلذُّ إذا ما غَنّت دمعةٌ مُستهامه .

الليلُ وجعٌ ، ذنبٌ لم يغسلْ ، وحنينٌ لصبرٍ لا يسأل .

الليلُ قنافذُ مجنونة ، وذئابٌ تنهشُ الأطراف الوسنانة .

الليلُ مخابئُ ضباعٍ لا تشبع ، خليةُ نحلٍ لا يهدأ ، وعباءةُ ساحرةٍ أضاعت في الحيِّ تميمتها .

الليلُ بحرٌ قامَ على رجْلَيهْ ، نخْلٌ قطفَ القمرَ واجتزَّ صدغيه.

الليلُ صهيلٌ لا يفتُر، حداءٌ يجلدُ وتراً لا يصبر، أدعيةٌ، ابتهالاتٌ من شفةٍ عطشى، وأنينُ مهزومٍ مطروح.

الليلُ أطياف جنٍّ تَتريٌ

وجوهٌ من فيض الوقتِ تلوح

الليلُ سحابُ الرُّوحْ.

الليـــل «٢»

اللَيلُ ودٌّ طرّاق

يتراقص على رجف الأوراق

الليل ودٌّ خفاق

موهنُ النفس

مشتبك الأعراق

الليل ودٌّ يتقاطع وثرثرة الأنات

يسابق أنفاس الأشواق

ودٌّ حرّاق

الليل ودّ يرابط بباب اليوم

بنافذة الصبح ، ودٌّ سرّاق

الليل ، ودٌّ ينسابُ بلا صوتٍ

ينثالُ في أزقة الوقتِ

يلاطم شمس الوجه

وشفة الهمس

وخطو الحسِّ ، ودٌّ رقراق

الليل ودُّ الأمس للأمس

مرهونٌ مشتاق

الليلُ ودٌّ ، حزنٌ دفاق

يلوك الأطياف المصفودَة

يجتر سلاف القول

ومذبحة الأعناق

الليلُ حزن مصقولٌ

وسيفٌ مسلولٌ

يقوم على مقبضِهِ

يتوسد دم الاشراق

الليلُ حزن مهراق

يتلوَّن كهامات الأثل

وكالنخل ، تتريٌّ أفَّاق

الليـــل «٣»

الليل اغفاءةٌ لا تستكين

إطلالةٌ ، سكرة على سكين

ورجفةٌ بُعَيْدَ الصبح فيَّ مغلولةً

ودمعةٌ تجوس في مدى روحي

آثرتُ ألا تبين

الليل سّرى بهجتي

الليل موتي هاهنا

إطلالتي

وصهوة تباعدت عني فألجمتها

صيّرتها قصيدة ، وأنجما

مراكبا ، بحارة ، أحبة

على الأنواء قادرين

الليل زهرة من جرحنا اصطفيتها

وخضبّتها

فأينعت ، تفرّدت

وحدّثت ، عن لونها

عن توقها ، عن سحرها

فأسهَبَتْ وألهبت جذرا جنينْ

وحدّثت عن سرّها

عن شوقها ، حتى ارتوت

وردا ضنين

الليل فكرة ضممتها

فأشرقت بوجهك النديّ

وغيمة ترجلت عن عرشها

فأورقت طيفا هجين

الليل أهزوجة تراقصت

توثبت ، فأطربت

أسلمتها صدرا حزين

أســـــوار

لماذا تخافين مني وأخاف منك ، ونحن نعقد ائتلافنا بالحب والتوحد والذوبان؟ لماذا تتبئ عينك بالخوف ولا تتبئ بالثقة ؟ ولماذا تتبئ عيني بالخوف منك ومن تقلباتك ، ولا تركن إلى الجانب المضيء في النفس ، إلى الجانب الذي تملؤه فراشات الحب الملونة وأزهار التوق والاحتياج لك ، إلى روحك وبوحك وحنينك ؟

عذراً إذ قلت ائتلافنا ، إنه أقوى من الإئتلاف ، إنه تمازجنا، هكذا هو أو هكذا أتمناه ، هاأنذا أعود إلى مخاوفي ، لأني لا أريد أن تكون حياتنا قائمة على نظرية سد الفراغ .

علينا أن نتجاوز كُلَّ مخاوفنا وأن نخطو تجاه تجربة التمازج ، حتى لا تسقط أوراق حياتنا من بين أيدينا يابسة جافة.

علينا أن ندفع برحيق الحياة في عروقها ، وأن نحافظ على إخضرارها ، أن نتجاوز كل الاختلافات ، كل الضغوطات ، كل أشكال الحصار ، لأن الحصار قاتل ، خانق ، ككل الأسوار والأسلاك الشائكة ، فكيف إذا كانت هذه الأسوار والأسلاك متحركة ، تحمل في رأسها عيوناً ترصد تحركاتنا وهمساتنا وتعد

علينا ضحكاتنا وتحياتنا فلا نتنفس بحرية ، ولا تتلاقى أعيننا إلا صدفة ، ولا تتصافح قلوبنا المعلقة بأطراف أصابعنا ، فنخاف أن نقف متجاورين ، وأن تتعانق أنفاسنا شوقاً ، وأن تتمازج أثوابنا توقاً.

حبيبتي علّنا إن أزحنا هذه المخاوف تسقط كل السدود والموانع المصطنعة ، تسقط كل المبررات ، وتتدفق في حياتنا مياه الحياة ، فتعود ضحكاتنا وأحلامنا ونشوتنا بالحياة .

جنـــة الســابلـــة

حين تغنين للسـابلة من كلّ لون ، أنكفئ ، وينكفئ النصل على قلبي .

مالي ألاحق الكلمات الجاثية على شفتيك ، مالي ألاحق النزف فيكِ ، وأستحثهُ علّه يساقط لونه القاني على نسيج روحي فأحترق.

مالي ألاحق المسافات التي تفصلني عنك ، والصور الغائرة في جلدك ، والعمر المنقضي هباءً.

لكم حَلمْتُ بامتزاج أنفاسنا ، يا غجرية من أرضي المعلقة على حدود العطش.

لكم حَلمْتُ أن يديك واحتان من ألقٍ وروحي طير عشق الصحو والسكون في مساحات انسيابك الحنون .

من دمي المتجذر في رحم الوقت والطين والتاريخ المتخثر تخلَّقتِ خيالاً يعزف بقيثار الهروب إلى الجنان المستحيلة ، أبداً تحلمين بالقادم من الأيام وأبداً أحلم بعينيك تصافح الأمنيات الحزينة.

وقلبي تملؤه الثقوب ووجهكِ ، وقلبي تعصره الزرقة المنتشية ، الملوحة الخائبة والاخضرار الغائب ووجهك .

لماذا تهّدين ذكرياتك القاتلة إليّ ؟

لماذا تكشفين لي عن كلّ الأسماء وتطلبين مني الانحناء والصلاة في معبد الصمت والرضا ؟

عجينة أنا من دم ولحم وروح ، قالبٌ أنا من أسى أعياه الاصطبار ، إليكِ نُذِرْتُ وإليَّ نُذِرْتِ فما التقينا إلا صدفة كالغريبين ، كالعابريْن هذا الزمن العجول.

اصطفيتك لأحلامي منذ أن حكت العجائز الباقيات والأمهات والآباء العظام عن طفلة الشمس الزاهية ، وعن القمر الحزين الذاهل بالنوافذ العتيقة.

عن الحبارى التي جاءت كالخصوبة للأرض الجرداء ، فخافت من عيون الصقور التي افترشت حوش الدار .

أين أنتِ من كُلّ هؤلاء الذين يخطرون كالذباب كالجراد كالموت المأفون ، يسلخون جلود الجواري ، ويطأون الأزهار الجميلة ، ويغرزون الرايات بالصدور ، يقبلون الشعور ويحزون الرقاب بالنصل الملوث ؟

أين أنتِ من حارقي الألفاظ في محرقة الأيام الكئيبة وبائعي الأحلام الصفيقة للعذراوات من كل لون وجنس ؟!

فيض

حين أردُ فيضَ صَدْرِك ، تَخْضلُ الزنابقُ التي زَرَعْتها على شفتيّ ، وتغار شقائقُ النعمان الرابضة على صدري.

لِمَ تعوجين الكلماتِ الواصلة بيني وبينك ؟ لِمَ يَنْهارُ سقفُ البوحِ ، ويستعصي عليكِ الفهمُ ؟

لِمَ تتحول الألفاظُ في عينيك إلى ألغاز وتهاويم منيعة ، تسورها الطلاسمُ ، وهي بهجة القلبِ ، ورقصة الروح المسكين ؟

ياذوب نفسي ليت أني لم أكن.

ليت أن الطرقات لم تَلدْني يوماً ، ولم تعرِّش بسكينتها على روحي .

ليت أن النوافذ التي تركها جديّ لم تفغر فاها للضوء المنسرح .
ليت أنّي لم أقِفْ على أطلالِ الأيام أندبُ حظ الأوقات التي لامستني ولامستها ، فأوغلتْ وأوغلتُ .

ماذا تبغينَ من مجروح خَلّفَتْه الأنفسُ مطروحاً ، لاذ بالسكينة علّها تهبهُ حفنةً من سلامِ المنكسرين ، وتوق المسجونين للتحليق خارج الأسوار؟

لماذا تفتشين عن ولهٍ سرقته الكواسر من قبل ، وعن عشقٍ بحجم البحر ، خنقته الجنيات وأخفينه في فانوس تتوقد ناره من زيت المحبة ؟

لماذا تنبشين الأوجاع ، تحاولين التقاط الممكن من الأفراح ، وتتقافزين كالفراشة من لظى اللهيب ؟

أخاف احتراق أجنحتك ، أخافُ انتقالَ العذاب إليك ، وأخافُ ما تلده الأيام القادمات .

مــــذبــــح

الريحُ معقودةٌ بعينيكِ وَبوَرْدِ الشَّفَتين ، تُغَنّي
غناءً مغولياً عند كُلِّ مساءٍ.
فَتَخْضَرُّ الزوايا والظلالُ والطرقُ المستهامَةُ
تتراقصُ أشجار السدر ، تتهادى أسرابُ الطيرِ
وتخفقُ أجنحة الحمام .
في أيّ جُزْءٍ مِنْ جوانحي أخفِيكِ ، أُلَمْلِمُ
أطرافه وأحتويكِ ، وأُمَوِّهُ الآثارَ التي خَلَّفْتِها بروحي ؟
أنتِ يا قطةً وحشيّةً تَتَريّةً ، ما ألذّ مشاغباتِكِ .
نَزَواتِكِ إذا ما وَعَتْ طريقها إليَّ ، ما أضناها إذا
ما تاهَتْ ، وتركت جراحاً بحجم المجرات ، وتركتني
كسفينةٍ غارقة محطمة الأضلاع .
خطاي تقودني إليكِ كضحيةٍ في مذبح يومكِ
أنتِ يا والهةً دون وَلَهٍ ، ودالية دون قطافٍ ، وقمراً
لم يكتمل عمره ، وكوكباً لم تتشكّل وديانه ولا
أنهاره ، ولا أشجاره ولا أطياره ، ولا جباله ، ولم

يكتسِ بالألوان والغناء والطيوب ، ولم يتزيّا

بالطقوس والغيوم ، والناس واللغات ، والبراكين .

أنتِ يا جمرةً لم تتّقد إلاّ في ذاتها

متى يتطاير الرماد ؟

صديقي

هل تَظَلُّ صديقي أيها الحزنُ المقيمُ بعينيها ؟

هل تظلُّ صديقي ؟

كفارسٍ يمتطي صهوةَ حلمٍ ضبابيٍّ حبيب

كفارسٍ يتقلَّدُ سيفاً من برقٍ غريب

يهوى به على زهرة روحي ، وينثني كغصنٍ رطيب

هل تظَلُّ صديقي أيّها الحزن الحبيب ؟

وتبقى جوارِي ، متمدّداً كالظّلالِ

مسترخياً كأنشودةٍ في فم ظمآنْ

أو كالشّطآنْ

كقوقعةٍ تتثاءَبُ ساعةَ خفق أجنحةِ النوارسِ

كأشرعةٍ لا تُبْحِرْ.

هل تظلُّ صديقي ؟ ولك أن تصرخ في المدى

تعالي يا غيمةً شاردةً

أنا الحزنُ سيد هذي المرابضِ

سيد هذي القيعان .

لك أن تدعي ، ولكَ أن أسمعك

هل تظلُّ صديقي أيّها الحزنُ ويظلُّ بابُ الأسى موارباً ؟

تتسرب الأفراس منه محمَّلَةً بالصّمتِ المتكلّم

بالهمس المتوتّر؟

يداك حاملتان كأس الدّمعِ ، نذور الأنفس الخائبة

تستقبلان أنفاس الوحدة والسأم

هل تَظَلُّ صديقي؟

ويظلُّ وجهكَ ملازماً وجهي ،

وخطوكَ ملازماً خطوي.

نُحدّقُ في الرتابةِ التي تَمُرُّ بيننا

وتبني في سماء الوقت عرشها الجليل

متقابلانِ ، متنافران ، والمدى يُهَدْهِدُ الظلمة في حجرهِ البنفسجي

يُطعمُها حليبَ الحرفِ الساكن .

هل تظلُّ صديقي أيّها الحزنُ المبجّلُ ؟

لكي يمكننا أن نحتسي فنجانينِ

من شاي مجلَّلٍ بالنعناع

وأن نأكل قطعةً من خبز هذا المساء

نهب ابتساماتنا لمن يبتغي الفهم

ويسأل عن بواباتٍ لم تغلق

عن صبحٍ معطّر بالتسابيح .

هل تظلُّ صديقي أيّها الحزن ؟

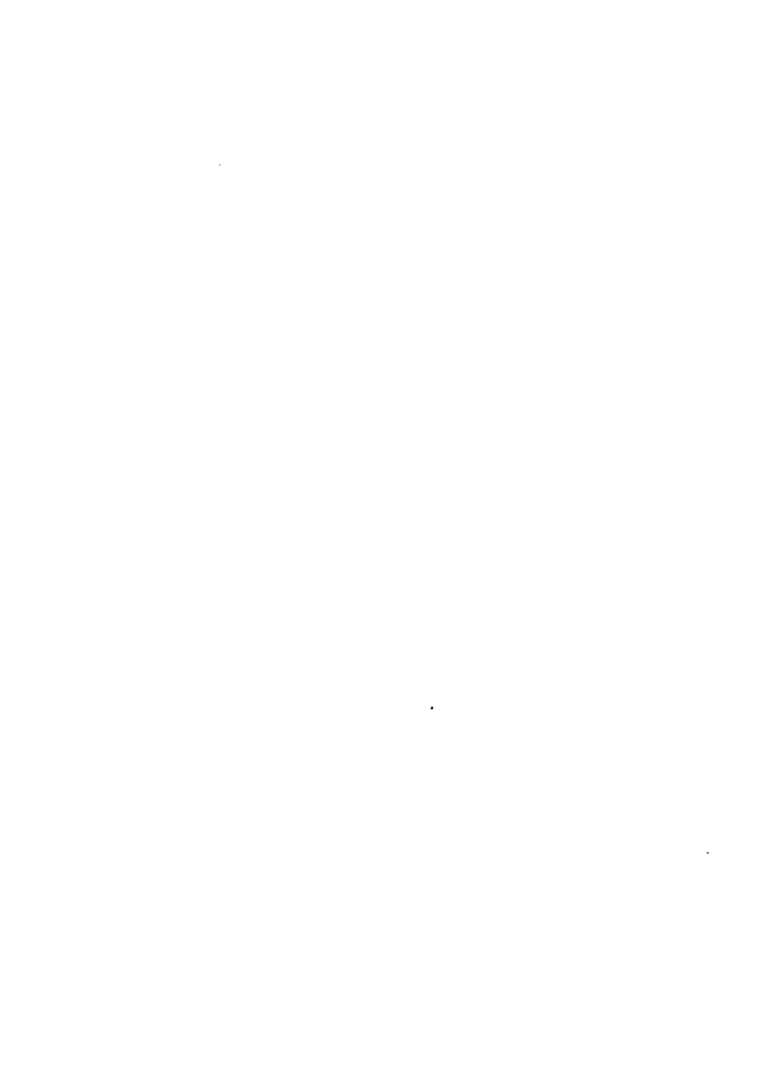
ونظلُّ نحذقُ لعبة الحديث الهامس بلا كلل

نُرمّزُ ألفاظنا

نُثوّر أفعالنا ، وندحرج الصور .

احتشاد

النوارس



حديث القلب

يحدثني القلب ، والبحر ذو الوجه الساكنِ

عن توحش الرياح في الأعماق وعن دبيب لغة لا أتبيّنها

عن شيء ينمو كالصبار في حلق البحر ، يتشكل في صدر الموج المتدافع

وأنا يحجزني البرزخ ، يقيدني فلا انفك أُعيد إشاراتي وأردد تعاويذي

مَدَدٌ يا أهل القاع ونساكه مَدَدٌ يا أهل البيت المفتوح على ذاتِهِ

فتضيع إشاراتي

مَدَدٌ يا غيمُ، يا ريح

يا وجوهاً وأفئدة تلتحف البحر ، يا أصدافُ

يا مجاديف العشاق التائهة ، ولا صوت ، لا يَدَ

تنتشل الغريق.

آهٍ ، ليت أنّي ما هدمت سدًّ حاضنتي ،

ليت أني ما مزّقت قشرة الكفن الهامد على جسدي ،

ما ولجت عتمة هذا المدى الموشى

بالألغازِ

ليت أنّي ما استنهضت هذا البحر

وما حَدَّثْتُ هذه الغيمة الكئيبة الزائرة موسمنا اللاهب

يا أنت ما الفرح إذا لم تملأنا بهجة وحشيةً

ودفق من حب نورانيّ ينفذ من مساماتنا ،

فيحيل الطقس المستذئب إلى

عصافير مجنحةٍ ، محوِّمة ، راقصةٍ ، وغناء ،

وفراش يلذ له الاغماء على شفاهنا.

يا أنت ما الفرح إذا لم نتجرد من لحمنا

المضَفَّر، المكتنز بالإعياء وبالتَّبَلُّدِ

إذا لم نخلع أثواب هذا الجسد ونلقيها للريح .

إلى أين تخبُّ الجياد؟

ما للجسد يَشِفُّ عَنْ ضوءٍ كالحريق، ينثالُ من

عروقي ومن مسامات ثوبي، فإذا بي أجفل

أُطَلِقُ روحي للطير

وإذا بالنخيل ينشب أظفاره في عيني ، فإذا هي

برقٌ من كلماتٍ وحداء .

وما لي أسائِلُ الوسائِدَ التي خَلَتْ من وجهكِ

عن ساعة انسرابك وَعَنْ ملامحِ الوجه آخر مَرّةٍ

وهل هَلّت دمعة من النفسِ أم لاحت الفرحة في تقاطيع

الروح .

يتَنازعُني مطلبان ، أن أسافر في تلافيف الأيام المشتجرة

وأطلق الأطيار الرابضة على أعشاش الوقت

فتصرخ أفراخها وتلوذ بتراتيل الذكرى وأدعية العودة ،

وأنا ماضٍ لا يثنيني إلا

نفور عزمي أو عجزه.

وأن أشدَّ إليّ غيمةً من تَبَلُّدٍ وَعَتَهٍ فأمسح على

جبهتي حتى تختفي الصور المحمومة

تتشي فيّ أسِنَّةُ الوَلَهْ

تتَهَدِمُ فيَّ خيامٌ من فرحٍ بَدَويّ

تتبخّر رائحةُ الهيل من شفتيّ، وتهرب أوتاد الروح من بين يَديّ.

يتملكني سؤالان، لمن تنتمي الكلماتُ حين

مجيئها من شفق الصدر؟

ولمن تكتوي الروح في كُلّ حين؟

ذاك أوّلُ الأمْرَيْن ، وثانيهما ، إلى أين تخبّ

الجياد حين ارتحالها ؟ إلى أيّ الثغور تتجه ؟

صفصافة

آهٍ ما أقسى اضطرام النفس على هوى

لا تبلغه

أنت يا وردة يومي المُعَذَّبِ

ما أحلى ثناياكِ في ذاكرة الأمس

وما أحلى ثناياكِ حين تحتدم

اللوعة في فؤادي .

كم عانقت صوراً من أيامٍ جمعتنا

في أيامي الشحيحة هذه ، واستجديتها

ألا تزول ، ألا تُخَلِّفَ فراغاً بحجم الكون.

كم عَذّبتها حتى تخنعَ لي وتترك زمام

تفاصيلها لي ، فأضيف إليها

من رغبتي ولوعة أيامي صوراً أخرى

كلمات أجمل وأعذب

إلا أنها لا تنفك تهرب كما الطيور الفزعة

كما الورود التي تقتلعها الريح

كما صفصافة جردتها الأرض

من الماء القراح فعادت خشباً.

كما قمر ازورَّت عنه الشمسُ فعاد لاشيءَ

إلا الموت بألف عين باردة مطفأة.

هي أحلامي التي نزفتها من بحر أيامي

وهي أنت ، يا من تتشكلين كما الغبار

وتتبدلين كما الفصول

فلا أقبض إلا على غيمة عجفاء

وحجرٍ كلسيٍّ

وسوسنة غادرتها الحياة.

ازورار

شفةٌ كالشمسِ إذا انفلقت، تلوذ بالصّمت ، تَسْتَعْذِبُهُ ، وتعلي هامةً للظنون.

تعشق الآهات حيناً ، تطاردها . تمسكُ بتلابيب أجزائها وتلويها.

تلوّنها بالبنفسج ، بالأزرق الغامق ، وترخمها ، ترققها ، وتطلقها تجاه المدى فينحلّ ويهوي .

شفةٌ لا تَتَّشحُ بالكلمات.

ما أرحب الألفاظ إذا انهمرت

ما أطيبها في هدأة النفس.

الكون موشى بالكلمات

الليل موشى بالكلمات

الأيام حبلى بالكلمات

والأوقاتُ تعشقُ انقضاءها في فجر الكلمات.

الأجساد تتشابك أجزاؤها بالكلمات

تلتئم جراحها ويقومُ بنيانها ويعتدل اعوجاجها بالكلمات.

والألفاظ وقود الروح ساعة السأم.

تراكيبٌ محكمةُ السبك ، نوافذ مشرعةٌ ، أمواجٌ تتلاطم ، نسائمُ رياح عاشقةٍ ، وعصافير ما ملّت غناءها

أفراسٌ تلهبُ الأرض بحوافرها والنهار بجباهها .

فلماذا تَزْوَرّ الشفاه عن الكلمات ؟

لماذا تقيم سداً بينها وبين الألفاظ المبثوثة في كل شيء ؟

ولماذا ينطلق الصمت كالمارد يأكل الأعمار ؟

هذا الصّمتُ غضب أسود ، أعاصير ، غاباتٌ ميتةٌ وأنين مكتوم .

هذا الصّمتُ مرعبٌ وغريبٌ ومعذّبٌ، ينهشنا كالموت .

دفـقـــة

تنادي الموجةُ دَفْقَها ، موجة تلو موجة ، تتنادى طيّات الليلِ ، والضباب ، والمجهول ، والهدوء الرتيب المخيِّم على الألواح النازفة .

تتصايح النوارس والرياح ، والأشرعة المثقلةُ بالهَمّ ، وحوريةُ البحر الفاتنة تصيح بالبحّار العاشق أنْ تعال إلى أحضاني ، وعانق الحلم المُضَمّخَ بالسحرِ.

تعالَ إليّ يا فارس المحار والردى ، فعوالمي حياة الخلود والصحو والألق.

ياليلُ يا واهنَ السُّرى ، أشعل تباريح المُعَنى ، وعطر المدى المبهم الموشى بالوشوشات .

يا نديَّ الصَبابات هذا أوانُ العذابات

هذا أوان الولادة الثانية.

تعالَ أُريكَ ما لا عينٌ رأت.

تعالَ فأنا الذكرياتُ الناشبةُ أظفارها

في تلافيفِ ذاتك ، وأنا التي ما فَتِئتُ

تراوح ما بين وَجْدكَ ونزقكْ

وأنا التي وسَّدْتُكَ شَعْراً منسوجاً بالمشموم ، عبقاً بدهن العود ،

زنداً وجيداً رحباً، يَهبُ أمْناً، وشبعاً من بعدِ مَسْغَبَة.

أنا التي نسجتُ الليلَ مِنْ حكاياتي

من عبق الممالك النائمة في أعماق المجهول.

من تواريخها الناهضة في الوجدان

فتعال أغذي شرايينك ، وأنسج

داخلك برزخاً من وجدٍ مضاء.

كان الصوت يملأ روح البحار المسكين

كان يصطدم بعروق السفينة الواجمة ،

والعيون المسهدة والأجساد المتناثرة

كان الصوت حلماً ، واقعاً ، ممتزجاً بالسحر.

لم يطفئ ظمأ البحار، إلا دفق ماء البحر دفقة تلو دفقة.

إجـــابـــة

حين سَألْتِنِي، أين أنا من كُلّ تلك الوجوهِ

التي ترسمها فتنهضها من داخلك ؟

لماذا لا أرى نفسي في كلماتك، هل بي كُلّ هذه

الصفات ؟ هل أثقلتك حزناً وآلمتكْ ؟

كنت أعلم أنّك ستسألين ، وأنّك ستبحثين عن وجوه أخرى

تناوش حياتي المتعبة

وأنّك ستلاحقين الأخريات في تلافيف عذاباتي ،

وأنّك ستقبعين داخل حدودك الوهمية

تكتفين بالتكهن والظن والتوجس.

تحلمين بالمستحيل ، وتجلدين اصطباري وكلماتي

تتلاءمين مع الأيام والأوقاتِ القاتلة

والزمن العجول ، تلهثين في طلب لا شيء.

وأنا أراوحُ ما بين المدّ المنسكب من عينيكِ

والجزْرِ الحائر في صدرك.

فلا أنا أثبت ولا أيامي

تحترق فيَّ مشاعري ،

تتعرّى بوجهي أجفاني ، وتتكسر في عينيّ دموعي

حين سألَتِنِي ، أيقنتُ أن الجدران الباردة التي تحيط بك ، قد فعلت فعلها .

أن الأوقات المشحونة في حياتكِ المنسريةِ قد غلّفت أحاسيسك ، فما عادت تعيش التوهج ولا تحس احتراق المشاعر.

أيْقَنْتُ أنّكِ لم تعي يوماً ما عنتهُ الكلمات وَدَلّتْ عليه الألفاظ ،

وأنّكِ استمتعت بفعل البوح ، لا بصدقه ، وإلا كيف يتلاقى العطاء والمنع ؟ وكيف يمتزجُ الجفاف بالاخضرار ؟

ارتــــداد

حينَ تميلُ نَفْسُكَ عن الهجوع ، وتستأثر بالصحو المتاح ، حدثني عن ارتعاشات الجفنين ، عن رحلتهما ما بين العزمِ ، والوسنِ العالقِ بأطرافهما ، عن ارتداد القدرةِ للأعصاب الخائرةِ.

عن استرجاع الصور الباهتةِ ، ملامح العابرينَ الضائعة في بوتَقَةِ عينيك وبطانة جفنيك .

عما تفعلهُ الأضواء الباهرةُ ، الأضواء المنكسرةُ ، الأضواء المنفطرةُ ، وعن التنينِ المنبطحِ داخلك.

حين تميلُ نفسُكَ وتزهد في معرفة الأيام وتواريخها ، حدثني عن ألمِ المضيِّ في الطريق دون الإحساس بقيمةِ الأبواب المرسومةِ على الطرقات ، المغلقةِ على النفوس المتوقدة.

وحين يتطاولُ داخلك البوحُ فيشق صدرك ووجهك ونفسك نصفين ، وتحرق الكلمات مرتين ، مرة في البوح ومرة في النوح ، وحين تبسقُ الأشواكُ من لسانك فتدمى أطرافَ المعاني وتسد ثغرات حلقك ، أرْسُم تفاصيلَ ذاتك ، خطوطَ سيرِ القوافل على ثوبك ، تاريخَ مولدك ، بُرجك ، عنوانَ قابلَتكَ ، مُرْضِعَتكَ ، والقبيلة

التي آوَتْكَ ، ودفعَتْ عنك الضباعَ والأسْدَ والثعالبَ والليالي المظلِمة ، والعطش ، فلربما تغنمُ فكَ طلاسمِ الأشياءِ التي عبرت المكان ، ولربما تستحثُ الطيور التي هجرت أن تعود لتبني أعشاشها على كتفك ، وأن تُغذي أفراخها من عينيكَ ورأسك.

نـورســـتي

يا حزناً يسكن فيّ

يا رحلة غريبة معذّبة

أخاف الرحيل بك وإليك

فلا الطريق واضح الملامح

ولا أشرعتي تمتلك الشجاعة.

جندت آلاف الكلمات معي لتكتشف

الطريق وتفضّ مغاليق الصور المبهمة.

تعلمني الممكن والمستحيل، فلا أجهل

الدخول إلى مملكتك

وتبسط لي الكائن والمكنون

فتتعرى عن أسرارها الأشياء

أستوي على عرش المحبة.

استعنت بكل الخرائط والقصص

والأساطير القديمة فلم تُعِنّي.

حملتني حورٌ عين ، كنّ يذُدْنَ عنكِ الدخلاء.

فلا أنا بالثابت ولا بالساكن

ولا أنا بالسابح الهائم ، أستقر

كما الطير ، وأسبح كما الجبل.

أخرجت دفتر الأشعار المسحورةِ

والتعاويذ البدائية ، قلت علّني إن استعنت بسحرِ

الشعوب ، وأقنعتها ، أناتها ، أغانيها ، ورقصاتها ، زدت معرفةً وعلماً .

فلم تزدني بكِ

إلا جهلاً ووهناً وحيرة.

تعبت أجنحتي ولم تتعبي.

ظـــلال

حين تتباعد المسافات بيننـا، تتز روحي أشواقا لها رائحة العود ساعة احتراقه.

كيف لي اصطناع الحلم والولوج في تفاصيله ، وأنا ما احترفت الاصطياد ؟

كنت كمن غـاب طويلاً ، فـصـحت النـوارس ذات صبـاح لتـجـد وجهاً صاغه العناء يحلق معها في فضاء الشواطئ .

كنت كمن أعياه السكون ، وأضناه الترُقب لما لا يأتي .

من أين لي بتقاسيم تزيل الحيرة وتشد أوتار نفسي فتصقلها ، فأدرك أمكنة تجليك ؟

لا تثبت الظلال على حال ولا النور على حـال ، وهذه النوارس لا تمل التمني كروحي .

لا تعقد صلحاً مع الأمكنة ، تلاحق الوهم أنّى بزغ ، سادرة في حلمها اللانهائي ، وكأنها أدركت عناء روحي فأشرعت أشرعتها واستطالت مناقيرها لتشرب من فيض وجدي .

سألتك كيف نجتاز الحنين إلى التلاقي

كيف تنثال الحكايا حين تبتل المآقي

وكيف يغتال الأحمر المجنون أطرافي،

فتبترد الروح وتنهمر المراثي.

سألتك هل انتفضنا لحظة الميلاد

واستوينا على أسرةٍ من دماء

أم دارت الأرض حين استدرنا

حين اندفعنا

حين امتزجنا في الخفاء

أم حين نَزَّ الملحُ من أطرافنا

فغدا الشوق طير المستحيل.

احتشـــاد

قابعٌ في زوايا الدهشة المُرَّة ، تَحْتَشِدُ الأوقات والظلال معي ، تحتشدُ السفائنُ، الرياحُ، القلوعُ ، وحوافِرُ الأيام المهترئة تحت ثوبي ، تحتشِدُ نباتاتُ القرمِ اليافعةِ وطيورُ الفنتيرِ البيضاء في عينيَّ.

تحتشدُ السواحِلِ بأحزانها وهمودها.

يحتشد النهامُ بأوجاعِه ، الغواص بأحلامه وديونه وسلسال قيده.

تحتشدُ البحارُ بقواقعها و(دَوّلِها) ونجومها وأصدافها وأعشابها وخيولها وأسماكها الصغيرة ، والمحارُ بخوائه ودمعه.

تحتشد البحار بشهيقها وزفيرها ، بعدائها لكل شيء ، بسطوتها ، برحابتها، بحنوِّها. تَمُدّ هوائمها وعوالقها إليَّ ، تمدُّ جنونها وعفونتها وفسادها إليَّ.

عظيمةٌ هي البحارُ وأعظم منها مَنْ أسالها ، وملأها وصَيَّرها جنوناً وسلاماً ، حياةً وموتاً.

الفنتير : طير الفلامنكو

دَوْل : قنديل البحر .

عظيمةٌ هي البحارُ ومُعَذِّبٌ وجميلٌ احتشادها معي ، و فيَّ.

صخبٌ وسكونٌ يغازلان الفَجْرَ ساعَةَ تنفَّس في وجهي وأرخى حباله وتَمَطَّى.

مَنْ ذا يُرْجِعُهُ لاحتشاده ؟!

من ذا يثنيه ويَعْقِلُهُ بعقالِ الدهشةِ والتأمُّل ؟!

مَـــنْ أنـتِ ؟

ما لهذا المدى يتفتقُ ، وَيَنْغَلِقُ.

ما لهذه النفس تموج كبحر ضَلَّ طريقه في غيابكِ.

تحدثني النوارسُ عنك كل حين ، وتستحثُّنِي.

تعلق نداءاتها ، فرحها ، ونشوتها على بروز طيفك.

تسدُّ الآفاق عليَّ ، فلا منفـذٌ إلا إليك ، لامعبَرٌ إلا إليك . وأَنْتِ ، مَنْ أَنْتِ ؟

برق لاح ، زنبـقـة آثرت الهـجـوع ، صـرخـة لذّ لهـا السُّكوت ، فزاوجت ما بين الفعل واللافعل ، غياب رمادي مقيت.

لِمَ أنتِ نبتةُ عوسج حينا ، ورحيق وردة حيناً ؟

لِمَ أنتِ بنيانٌ مُصَمَتٌ يصعب الدخول إليه حيناً ،

ومـدى رحبُ الأرجـاء ، تـرقص به البـهـجـة وينتـشي به الـزمـن حيناً ؟

لِمَ أَنْتِ فرح الأوقات التي مضت ، وحـزنُ الأوقـات التي لم تأتِ بعد ؟

أنتِ ، يا أنتِ

أنهارٌ خرافيةٌ لم تُخْلَق

أوديةٌ نباتات استطالت

اخضرار لايمسُّه اليباس

جبالٌ مستكينةٌ

فراشٌ يلعقُ الصَّحْوَ،

ضوء بشبّاك يضنيه الاشتياق.

أغانٍ من وَلَهٍ جَبليٍّ

حداءٌ في خيمة وحيدة بصحرائنا المقفرة.

وأنت لا شيء من ذلك كُلّه.

حلمٌ يصعبُ تفسيره ، وكوكب نَفَضَ عَنَهُ ثياب الحياة.

مَنْ أَنْتِ ؟ يا أَنْتِ ، يا كلَّ الغياب

يا كلَّ الحضور.

أقـــدار

قالت حين مدّت ذراعها تجاه الريح وانثالت دمعة:

أنا ما اخترتُ تفاصيل وجهي، ولا قسماتي المطفأة.

ما اخترت مساحات الحزن الرابضة تحت عينيّ ، وما نسجتُ خصلات شعري، ما أسهمت في بنيان جسدي ، ولا قلبي ، إنما اخترت أن أحياك ، أن أحبك ، أن أعيش تفاصيلك أنت .

أن أحلم بأن الصور المبثوثة في الألفاظ النابضة لي ، أنا من تمتلك مفاتيحها وأسرارها ، أنا التي أوقِدُ مرةً نارها ، وأطفئُ مرة لهيبها.

أسبح مع النوارس في شطوطك الحائرة ، وأستلقي في موانئك

تصافح عيناي المدى الذي تراه والشمس الغاربة

فأنسجُ الصور لك ، أطرزها بالممكن من اللون الفاتح، أتتبع خطوطك وحالاتك، وأعيد ترتيب الأوراق والألوان.

لماذا لا ينحسر صمتك ؟

لماذا لا تحمل لي ما أحمله لك من مشاعر ؟

قالت وقالت ، فحملت الحسرات ، وأشفقت ، فأنا لا أملك

نفسي ولا أملك كلماتي ، وأنا ما اخترت أيضاً أفراح قلبي ولا عذاباته ، وما اخترت لياليّ ونهاراتي.

ما اخترتُ خطوي

ما اخترتها.

هكذا كان.

الجســـرة

يا أنت يا كُلَّ المدى المنفلت أشجاناً وحباً ، لماذا يصطبغ المساء فيك بالحزن حيناً ، وبالرغبة في مواقعة الفرح الطفولي حيناً ؟

حين تنفتح بوابات الذكرى ، أجدُك تلهبين ظهر الخيول المنطلقة نحو أيامنا هذه.

فتخطين رسماً ملوناً من توقٍ على سروجها ، تشعلين النار تحت أقدامها .

تعمدين الطرقات التي نحب بالوَلَهْ ، تنفضين عنها الأتربة ، تمهدينها ، تسوينها كأسرة لأطفالك المشعثين ، لأطفالك الحالمين بالضياء ، والأثواب البيضاء ، والمرابع الخضراء.

الحالمين بالحنو والمحبة ، والأزهار.

لأنَّك أدركت منذ الزمن الأول أن الجفاف ، واحتباس الأمطار ، وارد في سجل المفاجآت.

لأنَّك أدركت أن الأيام حبلى بالواردين ، بالطارقين أبواب المكان ، باللصوص، بالمتسلقين ، بأوجه لا تعرف طعم الخجل ، ولا معنى المحبة ، الصبر ، العمل ، ولا تعرف المكان ولا تفاصيله ، من أين

يبـدأ ، ولا إلى أين يسـيـر ، مـا حـجـمـه ، من يحلق في أجـوائة، ويسبح في محيطه ، من يغذي أيامه ويرويها ، من يحلم باصطياد نجومه وأقماره.

ولأنَّك أدركت أن أطفالك سيشبون تواقين لجلد المستحيل آثرت رسم تفاصيلهم ، وسبـر أغوارهم ، وزرع المواويل فيهم ، والطيبة ، والفـرح المجنـح ، والحلم في ثيـابهم ، فـي طرقـاتهم ، فـي شـايهم الذي يشـربون ، في مقاهيهم التي يلوكون الضَـجَـرَ فيهـا ويغنون أفراحهم وأحزانهم على كراسيها .

في المراكب التي تشاغبُ الرياح ، وتحلب الأرزاق .

يا أنتِ ، يا أجمل الذكرى ، تعودين لي محمَّلةً بالنوارس التي لا تمل التمني ، لا تمل الغناء.

تحريض

يستحثنا وقتنا الذي لا ندركه أن نخطو تجاه الضياء

أن نمحو من ذاكرتنا كل الآلام ، الأحزان ، الخطايا ، الهفوات الصغيرة ، أن نحرث داخلنا ، أن نبذر الأمل ، ونصلّي ، نصلّي ، نصلّي ، حتى ينهمر مطر الرُّوح ، فتتفتق البذور ، ينتفض الأخضر ، يتطاول ليعلن صحوتنا المرتجاة .

يستحثنا يوْمُنا الذي لا نعبره ، أن نَفْهَمَهُ وأن نُغَنّيه أغنية في الصباح ، وأخرى في المساء ، أن نغطيه وندعو له بالرحمة ، أن نقرأ عليه ، أن نتقي فيض حلمه ، وأن نَعْبُرَهُ تجاه الفجر القادم.

فما الذي يبقي الأسى في أعيننا ، والبكاء في الصدور ، والخور في الجسد المريض ؟

ما الذي يجعلنا نرفع الرايات الحزينة على مراكبنا ، ونُعَلِّق أرواحنا بالصواري ونطلقها تجاه الشطوط الغريبة ، فيستقبلها الهمجيون بالطبول المجنونة ، بالرماح المسمومة ، بالنيران الموقدة تحت القدور ؟

لماذا نخرج أرواحنا المعذبة ونقدمها هدية للمجانين والجلادين والمهووسين بجمع النفوس البشرية ؟

لماذا لا نفيق ونجلد رغبتنا المتوحشة في بذل ذواتنا وأحلامنا وأمانينا للغرباء والسابلة ، واللصوص؟

جنـــون

مـرحى لطقسنا الجنونيّ ، مـرحى لنا حين نخلعُ ثوبَ التـعـقل ونلوذُ بجبال الدهشة المشتهاة.

مـا أجـمل ارتدادنا للبـراءة، للزمن الأول ، قـبل تشـكُّل وعـينا ، قبل أن تُسَـمِّرنا القـوانين والمثل ، قـبل أن نُصَلّبَ بالـواجب والممكن والمفروض ، قبل أن تهترئ ذواتنا من الجَلد .

ما أجمل أن نعود كالصفحة البيضـاء. قبل أن يشوهها الحبر ، وتقـتلهـا الـرطوبة ، قـبـل أن تنهـشـهـا الأيدي والأعين ، قـبل أن تدهسهـا الأرجل ، قبل أن تكون طعاماً للنيران أو طعاماً للأماكن الرطبة وللحشرات من كل نوع.

يا لهذه النفس ، يا لعذابها الذي لا ينتهي ، يا لصهيلها الذي لا يهدأ .

من أين لنا ببـذور خضـراء نزرعهـا في هـذا اليبـاب الـذي يقبـع في داخلنـا ، ويمتـد، حـتى يخنق فـينا الأمل ويطفـىء العـيـون ويسربلنا بالعجز ويمنحنا صك الموت البطيء ؟

أحـلامنا مـا عـادت زوادة لنا في لهيب أيامنا هذه ، مـا عـادت

تروي الظمأ ، ولا ذكرياتنا التي جفت كينابيع مياهنا ، ما عدنا نستقي منها إلا الجفاف ، نتداوى به ونصفه للمرضى المحزونين فيزيدهم حزناً ، ويحيلهم هياكل من وهن.

لعل الرحيل شفاء.

آهٍ ما أقسى الجفاف ، في الزمن الضنين.

وما أحلى الجنون ساعة مولده في الذات ، فلا ممكن إلا هو، يحيل الأيام الأليمة إلى صفاء والوعي المُعَذَّبَ إلى التلاشي.

لغات

من زبد



عتمـــة

في العتمة تكتسب الروح مساحات من وجد مضنٍ

في العتمة تستيقظ آلامي

وأحس أن هذا العالم الموحش

يمضي لبطن حوت

عابراًجسراً من أشواك تدمي .

في العتمة يلذُّ لي أن أهزج وأن أهذي

كساحر إفريقي محموم.

أن أنقرَ جلدَ الطقس الليلي

أن أتمدد بطول الروح

وعرض الجسد على سرير الألفاظ

أن أكون غير ما أنا ، غير ما خبرت ،

أو ماعملتُ.

في العتمة ، تقف الظلمةُ في مُواجَهَتي

معتمرةً أرياشاً مُلوّنَة لطيور من أرض خرافية

تقف الظلمة تَمد أيديها الألف ، أعينها الألف

ومناقير لا تحصى ، تنهشني فتسيل

الروح من ألف ثقب في جسدي.

في العتمة يتطاير البوم من أعين الطقس

المحلق، وتصطفي الأحاسيس متاعبها

جراحاتها ، أوقاتها المنسرية.

■ أيها المساءُ القابعُ

خلف أسوار الروحْ

هيىء لي الليلة حُقّاً من كآبةٍ

ومُزّةً من جروحْ

وشيئاً من عذابٍ

جليلٍ ، جميلٍ

دمعاً لحوحْ

تنادى ، تصايحُ في مدى الطقس المراوغِ

كالذئابِ ، كالضباعِ

وانهش القَلْبَ الجموحْ.

امــــــرأة

أن تكتب إلى امرأة وتكتشف أنها ذئب، تلبست

ثوب الحسن والنفس الزكية والعفاف ، فذاك هو العذاب

أن تعتقد أنها شجرة مثمرة ، ضربت بجذورها في جسد جبال
صماء لا تنضب ثمارها مهما هززتها.

فإذا هي مثل نبتة شيطانية هشة حملتها الريح معها

في أول زيارة مفاجئة ، تلك هي الخيبة.

-المرأة قيثارة ، ووترٌ يحب أن يَسْمَعَ

الآخرون ألحانه ، وترٌ متوجٌ بالألق.

-المرأة لحن كوني رائع النغمات ، يستمد

من هذا الفضاء العظيم أسراره وإيقاعه.

فإذا لم تفهم المرأة ذلك ولم تعه ، ماذا تتحول ؟

– المرأة نهرُ حليب يضرب أطنابه في ضلوعنا ، فيحرك فينا
ألفاظنا المسحورة ، ألفاظنا المتفجّرة .

نهر يدفع إلى أرواحنا بآلاف الصور، آلاف الخيالات ، فنلهج

بحمد نعمائه ، ونقدم له القرابين ، نذبح في حضرته أرواحنا حتى يقبلنا في زمرة عشاقه .

المرأة كلمات مسحورة حُبستْ في بئر مطمورة ، ومن يخرجها ويلحنها ويغنيها ، ويحفظها في صدره ، تدفئه في ليالي الشتاء الموحشة .

فإذا تحولت المرأة إلى خنجر أو سهم ينطلق إلى صدرك في صمت وخسّة ، عليك أن تفسح له الطريق كي يمر إلى الظلام .

بَــــوحٌ

بـوح أول

حينَ يغـازل هذا المد الموجعُ أحـاسـيـسنا ، نجـد أنفـسنا في مواجهـة الضيـاع ، وحين تحـجب الغيوم المحـملة بالغضب أشعة الدفء والحياة ، تعترينا البرودة إلى حد التجمد ، فـلا يطيب لنا البقـاء ، تملؤنا رغبة جامحة في الهروب إلى شواطئ أكثر دفئاً وقلوب أكثر صدقاً ، إلى موج أكثر اعتدالاً ، وبحار أزخر عطاءً.

حين يغازلُ المدُّ الموجعُ أحاسيسنا لا نجد إلا الكلمات ، تنْبثق من مكامنها المستغلقة ، فتنتشر قلوع الصحو ، لا نجد إلا الكلمات ، تنيـر لنا الدروب المظلمـة، هي الفـاتحـة والمالكة. بغيـرها تزداد لزوجة الأشياء ، يزداد طنين التفاهة من حولنا، فنعود لا نرى.

بـوح ثـان

صَدَّقْتُ أنّ التي رَسَمَتْ

تواريخَ الفصولِ مرةً

رَقصتْ على جسدي

خاطتْ جهاراً كَفَني

صدَّقْتُ أن التي اشتهت ألمي

باحت للبومة عن سِرّي

للضّبْعِ عَنْ وَهَني

لليلِ عَنْ خوفي وَعَنْ حَزَني.

زَبَــدٌ

أحس هذا المساء ، أن طعم الليل القادم بأثوابه الوبرية ، كطعم زبد البحر الذي غزا وجه الأرض ، فأفلت جنوده ، من تلك المخلوقات الصغيرة السلطعونية ، لتحفر أخاديد تستكين إليها.

هذا الزَّبَدُ الذي يقدم نفسه إليك فلا ينتهي إلى أحضانك ، أهيجانٌ هو أم اضطرامُ ذات البحر ، أم لغاتٌ من زَبدٍ ، رسائل ما كشفنا كنهها ؟

هذه الأصوات الموقعةُ ، تُجَرْجِرُكَ وراءها وتستلبك ، ثم تَقذفك واهناً ، تحضنُك وتدْفَعُك قريباً لتعود إليها .

لماذا تهاجمنا ذكريات مالحةٌ ، فالتةٌ من إسار الوقت ، فنحلِّق مكرهينَ معها ؟

ما معنى أن نحلم بالنجوم التي انتفضت فَلَمْ نقبض عليها ، وبالأقمار التي تسلقنا ليلاً سدرتنا لنصل إليها فَفَرَّت من بين أكُفِّنا الغَضَّة ؟

ما معنى أن نَحْلم بالأماسي التي لم نروها ونشبعها ، فروت من البئر التي دُفنتْ بحوش بيت جدّي العتيق ، وشبعت من رائحة خبز

جدتي الذي أطعمتنا إياه بالحب تارةً وبالزجر تارةً أخرى فعبقت رائحته في الذاكرة ؟

من يملكُ الصحو ، فيهدي لي حفنةً من ضوء ، من بهجة أيامنا الفائتة ؟

فأشعل هذا الليل ، أمده جسراً لصبح يتكسر في عينيَّ
حقلاً من كلمات تخْضَرُّ متى مَدَدْتُ يدي إليها .

بيان في الوله

جـريتُ حين عَـزَّ الفـهـم عليك وعلى بعض من يتنفس قـرب الألفاظ أن أحوطك وإياهم بلغة مستباحة ، لغة لذَّ لكل الألسن أن تلوكها ، لغة عادت هذراً يومياً وطقساً لا تحكمه البلاغة ، جربت فلم أسـتطع ، وجـربت فلم تطاوعني اليـد ولا الصـدر ولا اللغـة نفسها .

جربت فغضب الخيال ، والصورة المجنونة استجارت بالضلوع ، ودعت فرسانها لردىّ عن عزمي ، استجارت بهواي وشغفي وولعي وجنوني بك ، وأقامت مـأتماً لي وناحت وبكت ، فمـاذا أنا فاعلٌ مع ذاتي ؟! ومـاذا بيـدي أن أفعل مع الكلمـات والصـور التي أعـرف ، والتـي اسـتـوطنتني وأقـامت لهـا صـرحـاً بداخلي لا ينهـدم ، ولا يستبدل بقش وصفيح ومواد مستهلكة ؟!

عـذبتني أسئلة الذين لا يفـقـهـون شـيـئاً عن معنى الكلمـات ، والذين لا يدركون معنى الصور ، والذين لا يحبون ، والذين طمروا قدراتهم على التخـيُّل والحلم في أرض لا تفـقـهُ لغة الاخـضـرار ، فماذا أقول ؟! وماذا أكتب ؟!

هي أسئلة مشروعةٌ لهم ، وأيضاً من المشروع لي أن أسـأل ماذا تقرأون ؟ وماذا قرأتم ؟ وأين دفنتم قدراتكم على الفهم اللذيذ ؟

وهل أنتم ممن أحبوا بصدق ، وممن عانوا لظى البعد وقلة الزاد من المحبوب ؟

وهل ملكتم يوماً فهماً ووعياً ما ؟ هل جربتم فض مغاليق الصور المشتجرة ؟

فإذا كان كذلك فلابد أنكم ملكتم يوماً أيضاً قدرة على الشعور ، ورسم صور داخلكم لمحبوب ، ووردة قبل ذبولها ، ووطن بعيد أو متخيل ، وأرواح معذبة أو فرحة ، وأشجار وأشياء كثيرة ، فلماذا تعجزون عن خلق علاقات بين كل ذلك ، وعن رسم صور خاصة بكم أنتم لا بي ؟!

وأنا على يقين من أن الكثيرين يملون من الصور المستباحة والمكررة والمطروقة ومن أن الكثيرين يملكون القدرة على الإحساس الصادق والفهم الواعي والقدرة على التخيل الجميل ، ويسعدون حين يجدون كلمة جديدة يضيفونها إلى قاموسهم ورصيدهم من الكلمات والصور.

وأقول للذين لا يفهمون إنكم ببساطة تتخلون عن أنفسكم ، وعن قدراتكم وعن شيء جميل هو القدرة على الفهم وعلى التخيل ، فماذا أنتم فاعلون ؟!

غـرنـاطــة وأنتِ

حين وقــعت عــيناي لأول مــرة على بيت روخــاس الشــاعــر الغرناطي (غرناطة جنّة مغلقة أمام كثيرين ، حدائق مفتوحة أمام قلة) تصوَّرته يصفك ، وتصوَّرتني من القلّة المحظية بالرضا ، هذه العابثة بلذّة ملكية بزهور جنتك وأنهارك ووديانك ، المسحورة بغناء طيـورك ، المتّكئــة في ظلالك ، الســابحــة مع تبـدُّل فـصـولك ، وتصوّرتني القلّة كلها ، لا أحد سواي يـربض على صدر هذه الجنة ويقـضم تفّـاحـهـا ويعـصــر برتقــالهــا ، تصــوّرتني أول الوالـهينَ وآخِـرَهُمّ ، أتســرب مع تدفق الدمــاء فـي شــرايينك ، وأطلع وردة حمراء من قلبك لا تذبل أو تموت.

أنا الينابيع ، تغرف مني كل ورقة خضراء عنفوانها وبهاءها ، تسافر الرياح في أرجائك عاقدة برأسها لواء محبتي ، لابسةً وهجَ عينيَّ ، ومنتضيَةً ألفاظي.

إلا أنّ وجه نورس (تشـيكوف) يخمش وجهي ، يـزعق ، يحـزن ، يوقظني من أحلامي (إنـي وحيد في هذا العـالم ، لا حبّ يدفئني ، أشعر بالبرد ، كأني في قبو، ابقى هنا ، أتوسل إليكِ).

هنا نتداخل ، نتناسخ ، يتلبّسني ، أَتلبّسه ، يتألم ، أتألم.

هي لحظات ، بل ثواني ، تلج فيها الرصاصة الملعونة دماغينا ،

صدرينا ، وتوقظ الدنيا المخدَّرة من أمد.

لذةٌ هو الألم ، إذ ما قبل ، لا يشبه هذه اللحظة ، وما بعد سيكون حلماً.

ومضةٌ وينتهي المشهد المؤلم بظلمة.

لماذا قفزتِ هكذا في حلمي اللذيذ هذا ؟

لِمَ أوقدتِ نار عذابكِ ، واستعذبتِ حرق جنّتي الحالمة الوالهة ، وركزتِ فيها بيارق الغدر ؟

آهٍ يا غرناطة ، يا جنَّة مغلقة

ليتني من قلة القلّة،

ليتني القلّة،

والأوحد المستَظِلُّ بِظلٍ لا يغادر أبداً.

أتعلمين لمن ؟!

لِمَنْ تَتَشَكَّلُ غيمةُ في النفس وتُمْطِرُ تمائمَ ، ألغازاً ، أحاجيَ ، وتستنهضُ ألفَ خاطرٍ ، ألفَ حُلُمٍ ، ألفَ ألفَ أمنيةٍ ؟

لِمَنْ هذا الصبحُ معقود ، كَمُهْرٍ جامحٍ للتّو من بطن اليباب ؟

وهذا السحاب ، وهذي الهضاب لمن تَحْنو أضلاعها وتتهدم ؟ لمن يستديم الشدوُ وينغلقُ ؟

لمن هذا العبابُ ، يضجُ في النَّفس تنيناً من الأفراح والأحزان ؟

لمن هذي العناقيدُ المضاءةُ بجيد الشمس ؟

لمن كُلّ هذا اليوم ، كل ذاك الأمس ؟

لمن أسرابُ القطا والظباء وهذي الخيامُ المستلقيةُ على خاصرةِ البدو تتنادى يومَ استفاقة الهيلِ في اشتعال الروح ؟

لمن ارتحالنا وانثيالنا في البطاح ؟ لمن أشعارنا ، بكاؤنا على الأطلال ، وبحثنا عن الأحزان في أعين الخيول اللاهثة ؟

أتعلمين لمن يا وردة النهار الندية ؟

يا ليلنا المشتاق للحداء ، يا لؤلؤنا الساكن أحضانَ الروح ، يا عقيق الشفاه اللاهجة ؟ لمن هذا الضجيج والفوران بجسد الصحاري اللاهبة ؟ أتعلمين لمن تنزو الأعينُ من محاجرها ومن استكاناتها الدافئة ؟

ليلٌ بلا قمر

اللیل في مدینتي

بلا وجوهٍ ولا أحادیث ولا سمر

بلا قمر.

اللیل مدفوع الثمن

حجرٌ میّتٌ نُصلي له بأنفسٍ غائبة

اللیلُ أَعْیُنٌ زائغة كغیومٍ راجفة.

اللیل أبوابٌ تستقبلُ الروح

بعزفِ حوذيٍّ ضریر

اللیلُ أجسادٌ

أزقة ، ظلالٌ تَنُوحَ

اللیلُ مُفْتَتَحُ الرحیل إلى مدائن لم تبن بعد.

إلى أحلام وقلوبٍ لم تجرح بعد

إلى نفوسٍ لم تسلب بعد.

اللیل مدائن بلا عیون.

یا لیل یا ضحكةَ امرأةٍ ضیعت مسراها

ساعة تجرَّعت قهوتها الملعونة بين الصحاب.

يا أنَّةَ ذئبة باحت للذئب بسرها

فغلَّقَ النوافذ وأسدل على البكاءِ غُيومَ الوعود

وفقأ عين القفل بالمفتاح لئلا تهرب الألفاظ وتفضح المدينة.

يا ليلى يا سكُيْنَةً تجزُّ أعناق المنتشين

أعود إليك مع أول بزوغ حزنك

وكأني طفل ما غادر طفولته اللاهية.

أستطيع الآن

أستطيع الآن إيقاد ضوء صباح قادم ، جزء يسير

من مدى مغلق يتكور على نفسه خيفةً.

وإيقاظ نوارس شواطئ الخليج من حيرتها.

أستطيع الآن إطلاقها لتنهش عين الشمس.

أستطيع الآن تفجيرَ الظّلِّ الساكن أعماقي

وبناءَ شرفةٍ مزيَّنةٍ بالورودِ ، أو مرفأ

للمراكب التائهة ، أو حصنٍ أو حضنٍ للأوجه الباكية.

أستطيع الآن أن أحلم بالياسمين

وبشفتيك مجرَّدتين من الظلم والمنّة،

ممتلئتين بالأحمر الوهاج ، نافرتين ، متوحّشتين

وبذراعٍ تحوطني حين يَدْلَهمُّ خَطْبُ الوقتِ،

وتغدو أذرعُ الناسِ غريبةً.

أستطيعُ الآن أن أستخدمَ وجهي وعينيّ

وابتسامتي وأصابعي ، وأن أتكئَ على

تاريخٍ يُبنى من اليأس

أن أنْظُرَ إلى وطنٍ يبزغُ من عينيك يعيدُ نضارة

حكايات البحار الشريدة

تفاصيلَ الوجوه العنيدة ومواويلَ الأرواح المعذَّبة.

أستطيع الآن أن أقف في وجوه الصحاري

الجديدة ، أستطيعُ رفض صلاتها وكسر وثنها

وإحراق خيامها ، وثقبَ قُبَّتها.

أستطيع الآن أن أُغنِّي لبلادي ، لامرأة

في عينيها تَنْتَصبُ الأشرعَةُ المُتْعَبَةُ

في عينيها تغني أنجمُ البحر ، وتحكي الأسماك خرافتها.

وتطير في عينيها ملايينُ النوارسِ

ملايينُ الغيمات الصغيرة.

أستطيع الآن أن أتوترَ كما أشاء،

أن أهدأ كما أشاء ، وأن أطلِقَ ضحكةً

في وجه الليل المكابرِ.

تحيــــة

تحيةٌ إلى وعد يغرفُ مِنْ روحي ، يزلزلُ الأعصاب ،

يظل يستشري كما الضياء ، كما الحريق ،

يزدهي كما أقحوانة أو بنفسجة مشتاقة للقُبَلْ.

تحية إلى المساء الذي لا يأتي ، تحيةٌ

إلى الندى المستحيل ، وألف ، ألف سلامٍ

يا نفسُ إلى جمر يعي عذابَ الوجد ، شوقَ العليل.

تحيةٌ إلى البهجة والوجوه التي تَمُرُّ

ضاحكةً ، أو عابسةً ، أو راكضةً

تسأل الشمس عن وجوه موسومة

بالخجل ، وبالخوف.

عن سماءٍ مُطرَّزةٍ

وأراجيحَ وغيمٍ يلاحق ثعلباً ، عن وردٍ

خلع لونه وفَرَّ مع الأصيل.

تحيةٌ إلى كلِّ الصباحات ، إلى كل العيون التي

تبصر ، وترتسم الفرحةُ فيها .

تحيةً إلى الرطوبة التي نتنفسها ، وتفردُ جناحيها

على مساءاتنا ، تحضننا فلا نفيقُ إلا على التعب.

تحيةً إليكِ يا عارفةً وجع المشتاقِ ، مدركةً ومحركةً

مواقع نجومي وتفاصيلَ جنوني ، جنوحي وسكينتي.

يا ممسكةً حبلَ أفراحي وأحزاني.

أيُّهـــا الأمـــــازوني

أيها الواهبُ عينيه للشمس

يطيب لي أن أحييك تحية المدى

للاخضرار والبساطة والدهشة.

أيُّها الواهبُ قرطه للأمازونية المستلقية

على سرير الفجر النابض، اشدد إليك

جذع الخصوبة وتمدّد في سماء الفتنة

وغنِّ للأماسي الرطبة

للبحيرات والبعوض والتماسيح الشرهة

والأطفال البعيدين ، هناك في المدن

الغارقة في جحيم الملذات.

أيُّها القائم على نعيم الأرض ، تزيّا

باللون النابض ، وانثر بهجة النَّفس

على جبين اليوم

فاليوم يعدو للبحيرات الموحشة

ينسرب للغابات في خطو لا يقبل

للكهوف المشبعة بعرق الأجداد العظماء.

للذكريات الناضحة دماء الآباء.

أيُّها الأمازونيُّ المتفرد بعذاباتك

يا ابن الأشجار ، يا ابن الطيور المبهجة

ماذا في يديك الآن من أسلحة

تسلُّها في وجه هذا العالم المعدني ؟

بماذا تروِّع الأنياب التي تستبيح لحم أرضك ، وتطفىء شعلة

روحك من أجل حفنة من أحجارٍ تلمع ؟!

سُلَّمٌ هذا المدى

سُلَّمٌ للشّمسِ هذا المدى

سُلَّمٌ للنهارَ الوليدِ ، من وردةِ

البارحةْ

ها أنا اليومَ أنفضُ الكساءَ البليدَ

أغني عطرك المنبعثَ من مسامّات

الجسد الراعش

أوقّعُ ألفاظي الواضحةَ

أتملّى أطيافَ الحُضُورِ المتوثّبِ

في المكان.

أُحصي كم ضحكةٍ لكِ سارحةْ

سُلّمٌ يَتَمَدَّدُ

يتطاولُ إلى الغيمةِ الشاردَةْ.

سُلّمٌ يعبقُ بالأحْلامِ الخضراءِ

وَخَطْوٌ يَهَبُ للغيمةِ الروح

والروحُ زهرةٌ تاقت لأنْفاسِكِ المُحْرِقةْ

سُلَّمٌ هذا المدى

ويدي تُلَمْلِمُ أطرافَهُ المُتْعَبَةْ

تُلَوِّنُ شقاء الدرجات المعَذبةْ

سُلَّمٌ يُحدِّثُهُ الفراشُ المُهَوِّمُ

ينْثر بهجَتَهُ

المحبّبةْ.

وأَنت سيدتي

تتقافزينَ مِنْ غيمةٍ والهةٍ عابثةْ

إلى غيمةٍ راكِدَةْ

تبتنينَ في هذا المدى

قصرَ بهجتكِ الحالمةْ

وأعشاشَ الطيورِ،

اليمامِ ، الحمامِ

تغنّين لغةَ النهارِ الوليدِ

للوجوهِ المرسومةِ في الغيمِ

تغنّين أشعارَ الممالكِ

الذاهبَةْ

وَتَخُطينَ مساربَ للروحِ

تخطّينَ ألفاظكِ

الواهبةْ

أرانـــــي

كم تضطهدني الليالي وتهمي عليّ من كآبتها وحزنها ما يعجز صدري عن تحمله ، فيتركها تحفر فيه وتخط ما يلذ لها من أغان تترية وأهازيج بابلية ، ورموز لا أعلم كنهها ، ورسوم لقبائل بادت ، وأخاديد تقود إلى القلب.

آه يا بهية الطلّة ، حين يهمي الليل عليّ كسفينة تائهة بأشرعة سوداء ، وقراصنة مدججين بسيوف متعطشة للروح ، يتراءى طيفك ماداً يديه للغريق، منادياً إيّاي .

تعال إليّ أيها المضيّع قلبي ، فإني غفرت لك سوءاتك ، وأنزلتك منزلةً لا تبارحها .

تعالَ إلى صدر يشتهي وجهك ، وشفة تشتهي وجدك .

تعال إليّ يا قاتلي ، فقد أضناني الموج الدافق بي وأكلتني الرياح والأشرعة المحملة بالضياع والفقد.

حين يتراءى طيفُك ، لا أعلم أيَّ أرض تحملني

أيّ أغنية أرَدّد ، أي دعاء ينطق لساني

وأراني ، لا كما أراني ، أراني طيفاً يغادرُ ثوباً

ورياحاً تتوزع في أركان الأرض

أراني عصافير ، أجنحة تخفق بلا أجساد

وجيادا تخبّ في مدى يخضرٌ

أراني

ماذا أراني ؟!

لا شيء في مكاني، إلا دفقة من وجدٍ ينبض ويتأوّه.

استجداء

أستحثُّ الآن وقتي الذي أملكه أن يفتح مغاليق وقتي الذي أجهله ، أن يلج بي عتماتٍ لم تُدْرَكْ ، ولغات لم تُلْفَظْ.

أن يجلسني على مرأى من مشهد من فضةٍ وذهبٍ شفيفين.

أن يوقظ لي كُلّ الأفراس الوسنانة من مراقدها

وأن يطلقها شواظا من حمم في خاصرتي أو حلقي

استحث الآن أزمنة تجاوزتني وأرواحاً قاسمتني

تفاصيل ما أملك من دفقٍ وحشيٍّ

أن تترك شأن البوحِ إليّ

ألا تمنعني عن فيض ما أملك ، وعن حبس ما اختزنت.

أستجدي الآن لغة فرّت كالصقور الهجينة ، ألاّ تفضحني

أن تعيد سبر قاماتها ورسم أرياشها ، وقص استخذائها.

وأن تعيذ نفسها مني ومن مهجةٍ عزفت على أوتار فنائها.

أستجديها أن تنسى أسماءً علمتّها وأبياتاً لقنتها ، وأدمعاً

سقيتهـا ، وليالي كشفت لها فيها ما أكننت ، فغلب أمرُ المتَيَّمِ ستره ، ونبذ شَوْقَهُ فكْرَه.

أستجدي الآن في يومي هذا خطوي الذي لا ينثني ، أن يعي مزالق أمسي ، وعثرات غدي.

أن يدفع عنه الأشواق ، أن يحبس نزقها ، وأن يثقب أشرعتها ، أن يسمرها عند حدود أمسه ، أن يوقف أسنانها الشرهة عن أكل عمره.

استجدي نفسي ألا تلهب نفسي!

طـــقـــس

ما الذي يبقيك خارج طقسي؟

وأنا أشتعل ، أتداعى كسدرة

هزتها ريح الشمال

كنورس مكسور النفس عليل.

ما الذي يبقيك خارج طقسي ؟

وطقسي رجيم، غضوب ، جاف ، عطش إليك.

تتداعى عليّ غيوم اللغة ، يتكور الفراغ مع تكور جسدي.

وحين أنهض، تستيقظ كل الأحرف النائمة منذ (هوميروس)
معلنة إضرابها عن سبك المعاني ، والاستمرار في التكور.

أنت فتنة اليوم المراوغ ، ونجمة الوله المتعب ، فارفعي حجب البعاد الضارب أطنابه على مساحاتك الخضراء ، وهزي إليك جذع أيامك ، دعي الأوراق تأخذ بهجتها ورونقها ، وتستفيق من غيبوبة فقد الغيث.

انفضي عنك كل الأوراق النحاسية ، تجددي ، ومدي كل جذر

فيك ومنك تجاه نهيرات الحياة بي.

دفقٌ من روح جذلٍ يتخلق في سماء طقسي.

دفق رواء ، ورد الأنفس الحيرى ، وبهجتها ، يتخلق ويستعر .

بيانات خاصة بالمؤلف

١ - مزن / ديوان شعر / ٢٠٠٣

تحت الطبع :

استفاقات بجسد الرّوح / شعر

المحتويات

● حيث تختبئ النجوم

٨١١.٦ سنان عبدالرحمن المسلماني .

سحائب الروح / سنان عبدالرحمن المسلماني .-

الدوحة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ٢٠٠٣.

١٦٠ ص ؛ ٢٤ سم .

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ١٠٨ / ٢٠٠٣

الرقم الدولي (ردمك) : ٨- ١- ٥٨-٩٩٩٢١

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
١٠٨/ ٢٠٠٣م

المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث





صدَّقْتُ أنّ التي رَسَمَتْ

تواريخَ الفصولِ مرةً

رَقصتْ على جسدي

خاطتْ جهاراً كَفَني

صدَّقْتُ أنّ التي اشتهت ألمي

باحت للبومة عن سرِّي

للضَبْعِ عَنْ وَهني

لليلِ عَنْ خوفي وعَنْ حزَني.

